,٩٩

عبد الرزاق الهلالي

al-Hilālī, Ábd al-Razzāq.

الشاعر الثائر

الشيخ محمد باقر الشبيبي

١٨٨٩ – ١٩٦٠

al-Shā'ir al-thā'ir.

ساعدت وزارة التربية على نشره

منشورات – مكتبة النهضة – بغداد

– الطبعة الاولى – ١٣٨٤ – ١٩٦٥

– طبع بمطابع شركة الطبع والنشر الاهلية – بغداد

الأهداء

الى اولئك الشهداء الابرار ، والمجاهدين الاحرار ، الذين استشهدوا في سبيل الله والامة والوطن . فصدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدلوا تبديلا !

والى تلك الشموع التي تحرق نفسها وتذيب عصارة روحها لأنارة الطريق امام المدلجين في ليل هذه الحياة البهيم .

الى رجال الفكر والقلم ، الداعين الى الخير ، المرشدين الى الحق والصواب !

الى أولئك وهؤلاء جميعاً اهدي هذا الكتاب .

المؤلف



المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الأستاذ العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي



... تعددت العوامل التي عملت في اندلاع الثورة العراقية الكبرى على السلطة البريطانية المحتلة . وكان في مقدمة تلك العوامل اعتزاز العراقيين بكرامتهم ، وان لهم ماضياً مجيداً في الشمم والاباء ، وأثراً باقياً في تاريخ الحضارة .

وقد ارتكب ضباط الجيش البريطاني المحتل أو الحكام السياسيون كما كانوا يسمونهم ، خطأ فاحشاً في امتهان كرامات الناس ، وخصوصاً زعماء القبائل . وفات اولئك الحكام المحتلين ان قبائل العراق تختلف عن غيرها من القبائل التي عرفوها في مستعمراتهم الافريقية .

والواقع ان امتهان الضباط أو الحكام البريطانيين لكرامات العراقيين تناول ، مضافاً الى سكان الارياف ، سكان المدن والحواضر • ومن صور ذلك الامتهان، ان مواكبهم كانت تخترق الشوارع والطرق العامة وفي طليعتها جلاوزتهم الذين كانوا يشتمون الناس علانية •

فكان هذا الضرب من الامتهان والاذلال الذي لم يسبق له مثيل مدعاة للنفرة من الانكليز ، واخيراً عاملا فعالا في الثورة الكبرى على نظامهم الاستعماري البغيض •

ومن العوامل الفعالة في الثورة ، استغلال المحتلين في أوائل فترة الاحتلال جهود العمال والزراع ، والاستيلاء على الغلات والمنتجات الزراعية في مقابل ثمن بخس لحاجتهم اليها في تلك الفترة ، وعلى شكل أشعر العراقيين بسوء مصيرهم في الفقر المدقع والاعواز ، وطالما رفعت الظلامات والشكايات من تلك المعاملات السيئة ولكن آذان الحكام كانت صماء •

وهكذا تطايرت الشرارة الاولى من سعير الثورة الكبرى بعد قيام السلطة المحتلة باستفتاء العراقيين بشأن تقرير مصيرهم • وقد أسفرت نتائج ذلك الاستفتاء عن مطالبة العراقيين بالجلاء التام عن العراق والتمتع بحقهم في الحرية والاستقلال • ولكن السلطة المحتلة أصرت على تجاهل رغائب الشعب العراقي وتمادت في طغيانها وفرض سلطانها عليه بالقوة ، فلم يكن ثم ، بد من اندلاع نيران الثورة •

••• كان للادب العراقي الحي ، من منظوم ومنثور ، ولأعلام الفكر من شعراء ومترسلين وغيرهم في حواضر العراق الكبرى وفي مقدمتها النجف ، أثرهم الفعال في جمع كلمة الأمة واضرام نار الثورة •

أجل كان لرجال الفكر والادب ولقصائد الشعراء وخطب الخطباء ومقالات الكتاب ذلك الأثر الفعال ، ولبيوت عربية معروفة في النجف وغيرها من الجهات،

مواقفها المشرقة في ذلك الجهاد ، فكان شبابها في طليعة العاملين ، منهم حملة السلاح ، ومنهم ، حملة الاقلام •

وكان الشقيق الفقيد ، محمد باقر الشبيبي ، تغمده الله بالرحمة ، في الرعيل الاول من المجاهدين •

ولا ينكر أحد ما كان لبنات افكاره المنظومة والمنثورة ولقصائده ومقالاته الثائرة ، وما فطر عليه من اقدام وجرأة نادرة واخلاص وتصميم ، من أثر بالغ في نفوس الجماهير •

كان اذا أقدم لا يتراجع حتى يصل الى هدفه ، وكان بذل النفس والنفيس من أهون الاشياء عليه في سبيل سعادة وطنه وأمته •

ولابد لنا من القول انه لم ينخدع بالمظاهر البراقة التي انتقل فيها الحكم بعد الثورة الى ايدي ابناء العراق في الظاهر ، اما في الواقع فانه لم يخرج عن قبضة المستعمرين • وكان من رأيه ، ان الدولة التي سميت عربية في العراق بعد الثورة ، لا تحمل من العروبة الا الأسم ، وان اقطابها في الغالب ما كانوا يمتون الى العروبة ، بل كان فريق منهم ساخراً بالثورة ، ضالعاً مع المستعمرين عليها ، لا يتردد في امتثال أوامرهم ، وتطبيق مناهجهم ، حتى ان فريقاً من هؤلاء ، اعتبروا هذه الانتفاضة الشعبية الكبرى ، تستحق العقاب ، وحشروا قادتها في عداد المجرمين وبذلك توصل من توصل منهم الى المناصب العالية !

وما أكثر ما كان يتطرق رحمه الله في اشعاره ومقالاته وخطبه الى هذه الحقائق والمعاني •

كانت هذه الاحداث والوقائع التي وعاها العراقيون بحاجة الى من يجمع شتاتها ويعنى بتنسيقها وتحليلها باسلوب أدبي حديث ، حتى انبرى لها الاستاذ الاديب السيد عبدالرزاق الهلالي ، قائماً بهذا المجهود الادبي القيم •

ولا ابالغ اذا قلت انه مجهود نادر المثال في الدراسات الادبية الحديثة ، فان هذه الدراسة وان كانت منصبة على سيرة الاخ الفقيد ، الا انها في الوقت نفسه ، دراسة لثورة الفكر والاب في العراق التي مهدت الطريق للثورة الكبرى في البلاد .

وفي وسع من يقرأ هذه الدراسة ان يجد الدليل القاطع على ان للادب أثره الفعال في ثورة العشرين المجيدة .

ولا يسعنا وقد استبطنا فصول هذا الكتاب ، الا ان نزجي خالص التهنئة للمؤلف الفاضل ، راجين ان يحالفه النجاح والتوفيق في جهوده المثمرة لخدمة الادب والحقيقة والتاريخ ! !



المقدمة

ان قصتي مع الشيخ محمد باقر الشبيبي ، رحمه الله ، ومع اقدامي على اعداد هذه الدراسة المتواضعة عن حياته الحافلة بجلائل المواقف وكريم الاعمال، قصة ذات أصول وفصول ترجع الى ما قبل ثلاثين سنة أو تزيد .

فعندما كنت طالبا في الصف السادس الابتدائي في مدرسة العشار الابتدائية في البصرة عام ١٩٣٠ كنت كغيري من الطلاب احفظ بكل اعجاب وتقدير احدى القصائد الوطنية المحببة الى نفوسنا آنذاك تلك هي قصيدة الشيخ محمد باقر الشبيبي التي نظمها مرحبا بمقدم صديق العرب المعروف (المستر كراين) حين زيارته للعراق عام ١٩٢٩ والتي مطلعها :

حقا تقوم لك البلاد وتقعد
وتشيد بأسمك يا وفي وتنشد

وقد ظل ذلك البيت الذي يقول فيه :

المستشـــار هو الذي شـرب الطـلا
فعـلام يا هـــذا الوزير تعربـد ؟

ظل هذا البيت الى يومنا هـذا ، يرن بآذانـا ، لانه كان خير معبر عن حقيقة الحكم في العراق ، ابان تلك المرحلة من حياته السياسية ، ولانه يعطينـا صورة حية عن قوة المعارضة وصلابتهافي مقاومة الاستعمار آنذاك .

ثم تمر بنا الايام ، ونرقى درجات من سلمنا في هذه الحيـاة فأذا نحن مأخوذون بمواقف زعماء المعارضة واذا بالمقالات الافتاحية التي كان الشيخ محمد باقر الشبيبي ينشرهـا على صـفحات (الآخاء الوطني) و (البلاد) و (نداء الشعب)وغيرها من صحف المعارضة في (الثلاثينات) تلهب في النفوس روح الحماسة وتؤجج فيها نار التضحية والفداء .

واذا هو بما كان ينظم من شعر أو يكتب من مقالات في مختلف الصحف أو المجـلات أو ما كان يلقي من خطب في مختلف المحافل والمنتـديات أو الاجتماعات والمناسبات السياسية والادبية ، اذا هو بعـد كل هـذا ، مثـال نادر للسياسى الشريف والشاعر الثائر والمجاهد الحر ...

ثم دارت الايام دورتها بعـد ذلك فأذا هـذا الصـوت المدوي يختفي بين ضجيج الراقصين على الحبال والضاربين على الطبول الجوفاء ، ويضيع بين زعيق السائرين في ركاب المستعمر الغاشم والناقرين على دفوف الحليف المخادع .

ثم اذا ذلك الهيكل المتـداعي ، وتلك الـكتلة الثائرة من الاعصـاب المرهفة والاحاسيس القومية الصـادقة ، الممثلة بشخص هـذا الوطني النبيل ، تنهار جميعاً امام مرض عنيد هو (مرض الربو) ! !

... واذا بتلك الانفـاس الحارة تختنق في صـدره الى الابد ، فتنفس بأختناقها عن الاستعمار واذنابه ! حتى اذا حقت كلمة الله ، وتوقف ذلك القلب

الكبير عن الخفقان ، آلمنا ان يسكت ذلك البلبل الغريد وحز في نفوسنا ان تنتهي حياة هذا الشاعر الثائر بمثل هذه النهاية المحزنة !!

وما كنت أدري وانا اطالع تاريخ العراق الحديث ، بحكم تتبعاتي الادبية ودراساتي الاجتماعية التي اخرجت نتيجتها بعض ما اخرجت من مؤلفات ، أن يكون ما وقفت عليه خلالها من صور رائعة عن حياة هذه الشخصية العراقية اللامعة ، الأساس الذي استند اليه في قابل الايام ... بل كل ما كنت اتمناه ، ان يهيء الله لهذه الصور جامعاً يضمها في اضمامة منسقة واحدة وينشرها على الناس خدمة للادب والحقيقة والتاريخ .

ومع هذا فلم اكن أنا وحيداً بين الناس في تقدير هذا الرجل والدعوة لنشر مخلفاته ، فقد سبقني في الاعراب عن هذا الشعور أكثر من أديب ، فقد كتب الاستاذ خالد الدرة في مجلته (الوادي)(١) عن المرحوم الشبيبي يقول « انه فريد بين الادباء وحري بالدراسة العميقة لا بين ادباء العرب ، فحسب بل بين ادباء العالم اجمع وهو بنظري صورة مصغرة لجمال الدين الافغاني » .

اما الاستاذ عبدالقادر البراك ففي مقاله الذي نشره في جريدة الاهالي(٢) فيقول « ان الشيخ باقر الشبيبي من شعراء العراق الافذاذ في العصر الحديث وان الخسارة الكبيرة بفقده لن تعوض بغير نشر ما خلف من آثار وخاصة ديوان شعره الذي يصور فترة هامة من تاريخ كفاح الشعب العراقي في سبيل الحرية والاستقلال والدمقراطية » .

وهكذا بقيت انا وغيري من مقدري مواقف هذه الشخصية الفذة ومحبي أدبها ، وعارفي فضلها وجهادها ، في مختلف ادوار حياتها ، بقينا جميعاً نترقب ذلك اليوم الذي تخرج لنا فيه دراسة خاصة بحياة

---

(١) العدد ـ ١٥ الصادر يوم ١٨ـ٦ـ١٩٦٠
(٢) في عددها الصادر يوم ١٠ـ٦ـ١٩٦٠

هذا الشاعر الثائر والسياسي الحر ، وفاء بما أداه لهذا البلد من خدمات وتقديراً لما قدمه لأمته من عظيم الجهد وبالغ التضحيات ! !

وشاء الله تعالى ان اكون (انا) ذلك الدارس لأدب هذا الرجل الكريم ، الجامع لاثاره المسجل لاخباره واشعاره ، شاء ذلك عندما اقترح على الصحفي المعروف الاستاذ صبيح الغافقي ، القيام بهذا الواجب مؤكداً ان صديقه المرحوم الشيخ محمد باقر ، أهل للدراسة والتقدير ، وحري بالبحث والتحقيق .

وهكذا كشف هذا الاقتراح عما كنت اختزنته في ذهني لهذا السياسي الكبير والشاعر الثائر ، من رائع المواقف وعظيم الذكريات ، وأثار في نفسي دافع الاستجابة لهذا النداء . فما انا الا في سبيل دراسة شخصية عربية فذة خلفت لها في تاريخ الكفاح الوطني صفحات نيرة وتركت لها في تاريخ العراق الحديث سجلا حافلا بحميد الافعال وجليل المواقف والاعمال .

وعلى هذا توكلت على الله ، وكنت اظن أني سأجد مواد هذه الدراسة طوع اليد وان شعر الفقيد مخطوط وجاهز لكل دارس وباحث ، الا اني لم أكد أخطو خطوة في سبيل جمع مواد البحث وتهيأة موضوعات الدراسة حتى اتضح ان علي ان ابذل جهوداً كبيرة في سبيل ذلك الجمع ، لأن (الدفتر الصغير) الذي يضم ما لا يتجاوز (العشرين قصيدة) قام الشاعر الاستاذ محمود الحبوبي مشكوراً بتسجيلها لا يمكن بأي حال من الاحوال ان يكون بما ضمت دفتاه ، ممثلا لديوان شعر المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي ، ذلك الشاعر الذي مارس نظم الشعر منذ ان كان فتى يافعاً ، وراح ينشر قصائده الوطنية واشعاره القومية في مختلف الصحف والمجلات العربية ، طورا بأسمه الصريح واطواراً بتواقيع مستعارة الى ان أسكته المرض ، واوقفت نثار قلمه تقلبات الزمان والاعيب السياسة كما هو معلوم .

اذن لابد لي من الرجوع الى صحف ومجلات تلك الايام افتش فيها عن

قصائده واشعاره واتحرى بين صفحاتها عن مقالاته وابحاثه ، واستند بعد ذلك الى محاضر المجلس النيابي في تسجيل خطبه وبياناته •

وهكذا اصبحت موزع الجهد والوقت بين مكتبتي ، مديرية الاثار القديمة العامة والمكتبة الوطنية استخرج مما ضمته خزاناتهما من كتب وصحف ومجلات عراقية وعربية ما انا في صدد البحث عنه ، حتى اذا تهيأت لي مما جمعت عن هذه الشخصية الكريمة ذخيرة كافية ، رحت انسم اخبارها واتقصى اثارها من غير هذه المصادر والمضان ، فأذا بي احظى عن طريق اتصالي بأخيه الكبيرالعلامة الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي وابنه الاستاذ صادق ، وقريبه الاستاذ محمود الجوبي ، وصديقه الحاج حسين الشعرباف ، بكثير من تفاصيل نشاطه وفعالياته في مختلف ميادين الجهاد والكفاح واحصل عن طريقهم على بعض القصائد والمقطوعات الشعرية ، واسمع منهم ما كان حدثهم به من تفاصيل الوقائع والاحداث الادبية والسياسية التي مرت على البلاد •

ولما كنت حريصاً على ان تتوفر لهذه الدراسة عوامل الاحاطة والدقة والشمول، فأني لم اكتف بما حصلت عليه من هذه المعلومات بل وجهت في الصحف(١) نداء ، ناشدت فيه اصدقاء المرحوم محمد باقر الشبيبي ومقدري مواقفه الوطنية ومحبي أدبه راجيا منهم فيه التكرم علي بما يحتفظون به أو يحفظون له من قصائد •

ولكن هذا النداء لم يأت بما كنت دعوت اليه مع الاسف الشديد • وأخيراً وبعد ان أيقنت بأني بت قادرا على ان اقدم للقارىء الكريم صورة واضحة المعالم عن حياة هذا (الشاعر الثائر) باشرت في كتابة فصول هذه الدراسة

---

(١) نشر في جرائد الجمهورية يوم ٢٧ـ١١ـ١٩٦٤
وجريدة الفجر الجديد يوم ٢٨ـ١١ـ١٩٦٤
وجريدة المنار يوم ٢٩ـ١١ـ١٩٦٤

ورحت اكشف عن تلك الصفحات النيرة من حياة هذا الاديب والسياسي العراقي الكبير يغمرني شعور بالثقة والاطمئنان بأني وأنا اكتب مباحث هذه الفصول لم أقل الا الحق •

ولئن كنت بينت في بداية كلمتي هذه ، كيف بدأت قصتي بهذا الشاعر الثائر ، فأن قيامي بعد ثلاثين عاماً أو تزيد ، بدراسة حياته وتسجيل مواقفه الخالدة واعماله الحميدة التي قام بها خلال عمره الذي امتد سبعين عاما ، قد ربط حلقات تلك القصة ربطاً محكماً ، فأذا بي انهي هذه القصة وبي رغبة ان تطول بها الفصول ، فقد كان صاحبها وايم الله حريا بالدرس جديرا بالبحث والتحقيق •

وبعد فها انذا أقدم بأعتزاز هذا الكتاب لا لأنه قد ضم بين دفتيه تلك الصور الرائعة من جهاد الشيخ محمد باقر الشبيبي أو قصائده الوطنية ومقالاته السياسية التي نظمها وكتبها في مختلف الظروف والمناسبات فحسب بل لانه يسجل بالاضافة الى ذلك صفحات من تاريخ العراق السياسي والاجتماعي والادبي معززة بكثير من الكتب والمراسلات والاحاديث والتصريحات •

ومهما يكن من شيء فأني ، وأنا أقدم هذه الدراسة عن حياة المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي لا أدعي الاحاطة بجميع صفحاتها فأن فاتني شيء منها فعذري ان هذا الذي جمعت ، هو كل ما وقفت عليه خلال انصرافي لها ، ولست اشك في ان محبي هذا الرجل ومقدري أدبه وجهاده سيتفضلون علي بما عندهم من جديد الأشعار والآثار أو سديد التوجيه والارشاد ، عساني أفيد منها في طبعة جديدة قادمة انشاء الله •

وختاما لابد لي من تقديم جزيل الشكر الى جميع السادة الافاضل الذين ساعدوني على اخراج هذه الدراسة بما أمدوني به من عون ومساعدة وتأييد ،

كما أشكر الاخ السيد عبدالرحمن حسن حياوي صاحب مكتبة النهضة على ما ابداه من روح طيبة واستعداد كريم للأسهام في طبع هذا الكتاب ونشره بين الناس مشاركة منه في تكريم المخلصين من الرجال الذين خدموا هذه الامة بكل تجرد ونزاهة واخلاص !

وفق الله الجميع وأمدهم بنصر من عنده ، انه نعم المولى ونعم النصير .

بغداد ١٠-١-١٩٦٥ عبدالرزاق الهلالي



آل الشبيبي

••• من الاسر التي لها في تاريخ النجف الاشرف بل العراق كله سجل حافل في دنيا الادب والكفاح الوطني (آل الشبيبي) • وترجع هـذه الاسرة في أصولها الى قبيلة (بني أسد) تلك القبيلة العربية المشهورة التي كانت بعض افخاذها قـد اتخذت البطـائح (في لواء المنتفق) مقرا لسـكناها حيث لا تزال فيها حتى يومنا هذا •

وكان الشيخ محمد بن الشيخ شبيب بن الشـيخ ابراهيم بن الشيخ صقر البطائحي أول من وفد من هذه الاسرة الى النجف الاشـرف وفيها نبه ذكره وبان فضله وأثره • فلما أكمل تحصيله فيها وأصبح من ذوي المكانة العلميـة والفضل والادب ، ترك النجف الاشرف قاصدا مدينـة (الشـطرة) احـدى الحواضر الهامة في لواء المنتفق حيث اتخذ له فيها مقرا ، وهناك كتب له النصيب التزوج بأحدى كريمات الفقيـه الـكبير والاديب الضليع (الشـيخ صادق آل أطيمش) الذي كانت له في تلك الديار رئاسـة وامامة ، كما كانت له فيهـا ضياع ومزارع كبيرة • ولكن اقامة الشيخ محمد في الشطرة لم تدم طويلا اذ تركها قاصداً بغداد ، فرارا من تحكم بعض شيوخ المنتفق •

وهناك في مدينة السلام وفي سنة ١٢٨١هـ ولد ابنه (الجواد) ، غير انه لم يسعد بهذا الوليد العزيز فقد توفاه الله بعد ولادته بأيام معدودات ، فاضطرت زوجته ، بعد ان قضت بضعة أشهر في بغداد ان تغادرها الى النجف وكان فيها طائفة من آل الشبيبي مقيمين فيها آنذاك للتحصيل ، ومع هذا فانها لم تبق الا فترة من الزمن اذ أنفذ أبوها ، الشيخ صادق من حملها مع وليدها اليه (في الشطرة) فنشأ ابنها الوحيد في كنف جده لأمه وتعلم القراءة والكتابة وجودة الخط حتى اشتهر فيه • وكان جده كثير الرعاية له والعناية به ، حريصاً على تربيته وتهذيبه حتى شدا الشعر صبيا ، فزاد أعجابه به وأحبه حبا شديدا • وهكذا وفي هذا البيت المشهود له بالعلم والفضل والادب ، راح (جواد) الشاب يتلقى من العلوم والمعارف والثقافة والادب ما تيسر له واستعد لهضمه واستيعابه• وفي مجلس جده الحافل راح يسهم في ما يطرح فيه من احاديث الشعر والتاريخ والاجتماع فاذا هو في ذلك المجتمع العربي المتحفز ضد الاتراك ، يستمع الى قصص الكفاح والصراع واخبار الحروب والمعارك مع جلاوزة السلطة العثمانية وجنودها • ويعجب وهو فتى بصور البطولة الرائعة وحكايات الرجولة النادرة التي انتجتها معارك الدفاع عن العزة والكرامة ومواقف الاستبسال في سبيل الحق والحرية والاستقلال خلال تلك الحقبة المظلمة من تاريخ العراق !

ولما توفي جده رحمه الله في عام ١٢٩٦هـ غادر تلك الديار (وهو ابن خمس عشرة سنة) قاصداً النجف ومنها الى بغداد متردداً بينها وبين مشهد الكاظمين ، مقبلا على درس المبادىء ، ثم قصد النجف ثانية لدرس الفقه والاصول على جماعة من كبار الاساتذة ، غير انه كان مسوقا منذ نشأته كما رأينا ، الى الادب ، منظومه ومنثوره ، فصرف كده واستفرغ جهده فيهما ، حتى أصبح اسمه من الشهرة بحيث لا يذكر اسم الادب بجميع فنونه الا وكانت

له من المناسبة ما تجعل الاتصال به وثيقا ، وأصبح في الرعيل الاول من الادباء الموهوبين والعباقرة المتفوقين بين كتاب العرب وشعرائهم الكبار[1] .

وقد من الله تعالى على الشيخ جواد الشبيبي بعد عمر مديد بأولاد ستة هم الشيخ محمد رضا والشيخ محمد باقر ومحمد جعفر ومحمد علي ومحمد حسين ومحمد رشاد ، تخرجوا في مدرسته واغترفوا من معينه الثر وتأثروا بأدبه الجم وخلقه الرفيع وساروا على هديه وخطاه . فاذا آل الشبيبي الكرام من قادة هـذا الشعب وخدامه الامناء ، ساهموا في الحركات التحررية التي انطلقت ضد الحكم العثماني الجائر ، وحملوا السلاح ضد الحكم البريطاني البغيض ، وأججوا نار النخوة والحمية في نفوس ابناء الشـعب بما نظموا من شـعر وما حرروا من مقالات ، وما ألقوا من خطب ابان الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ وما بعدها وسعوا مع غيرهم من المخلصين لاعلان استقلال البلاد ، ودعوا باخلاص للوحدة العربية وتحقيق الاماني القومية .

حتى اذا قام (الحكم الوطني) في العراق وبدت القوى الاستعمارية تحكم البلاد من وراء سـتار ، ظل ابناؤه الذين انغمسـوا في تيار السياسة والنضـال الوطني ، مقيمين على العهد لا يرتضون غير خدمة الشعب والدفاع عن حقوقه وضمان حريته ، سنة ومنهاجا ، يستظلون بظل أب عربي وطني غيور !

وفي ربيع عام ١٣٦٣هـ الموافق لعام ١٩٤٤ توفي رأس هذه الاسرة الكريمة المغفور له (الشيخ جواد الشبيبي) فأسدل بذلك الستار على حياة هذه الشخصية الفـذة التي تركت لهـا في تاريـخ العراق الحديث صـفحات نيرة مليئة بالمفاخر والامجاد .

---

(١) اعيان الشيعة . السيد محسن الامين العاملي ج ١٧ . دمشق ١٩٤٥

محمد باقر الشبيبي

وسنقصر دراستنا في هذه الصفحات على ثاني انجال المغفور له الشيخ جواد ذاك هو (الشيخ محمد باقر الشبيبي) ، محاولين الكشف فيها عن الجوانب المشرقة من حياة هذه الشخصية السياسية والأدبية الفذة ، التي كانت في الرعيل الاول من القادة المناضلين الذين كانوا منذ نعومة اظفارهم حتى آخر لحظة من حياتهم ، حرباً على الذل والخنوع والعبودية والاستعمار ، وفي طليعة الشعراء والكتاب الذين ايقظوا الشعب ، ونفخوا فيه روح التضحية والفداء ، ووحدوا كلمته ابان الحركات التحررية والثورات الوطنية والانتفاضات الشعبية بقصائدهم الرنانة وخطبهم الحماسية ومقالاتهم النارية .

مولد فتى

لقد ولد محمد باقر في مدينة النجف الاشرف عام ١٨٨٩ ميلادية الموافق للسنة ١٣٠٨ الهجرية(١) ، وهناك في ذلك البيت المشهود له بالفضل والعلم

(١) لقد ارخ الشيخ عبدالحسين الشيخ صادق العاملي ، ولادته شعرا اذ قال :ـ

سيكون في الاداب نابغة ‏ ‏ ‏ ‏ ارخ ويضحى باقر العلم

والادب راح هذا الوليـد الجديد ينمو ويستقيم عوده ، يغمره حب أم رؤوم حنون وتحوطه رعاية أب عطوف رؤوف ، حتى اذا اجتاز دور الطفولة الاولى وبلغ مبلغ الصبيان بدأ بقراءة القرآن الكريم شأنه في ذلك شأن لداته من ابناء الاسر الاخرى في تلك المدينة العلمية الزاهرة ، ولما تعلم القراءة والكتابة وحذق شيئا من الحساب وحسن الخط ، وأصبح فتى يافعا ، سلك حينذاك مسلك اقرانه من ابناء النجف اذ راح يدرس مقدمات العلوم (حسب اصطلاح الدراسة في النجف) راغبا في زيادة التحصيل وكسب الجديد من المعارف اللغوية والدينية، التي كانت تدرس في معاهد النجف ومؤسساتها العلمية والادبية آنذاك فتوصل بما جبل عليه من نباهة وفطنة وذكاء الى فهم الاصول والفقه على اساتذة مشهود لهم بالفضل والعلم .

واذا ما عرفنا ان دراسة (مقدمات العلوم) في النجف تعني دراسة أربع مجموعات من العلوم وان كل مجموعة منها تضم عدداً من العلوم المختلفة ، أدركنا الاسس الثقافية التي يستند اليها الطالب بعد تلك المرحلة والمعلومات التي يحصل عليها ، فالمجموعات الاربع هذه هي(1) :-

١ - علوم العربية وتشمل دراسة علوم النحو والصرف واللغه والمعاني والبيان والبديع الخ .

٢ - العلوم الرياضية وتشمل علوم الحساب والهندسة والفلك .

٣ - العلوم الاجتماعية وتشمل علوم التاريخ والجغرافية .

٤ - العلوم العقلية وتشمل المنطق والحكمة والفلسفة والفقه والاصول والتفسير وعلم الكلام .

وليس من شك في ان الذي ينهي هذه المرحلة الدراسية بنجاح يكون على درجة من الثقافة والفضل ، فلا عجب اذا ما رأينا محمد باقر ذلك الشاب النابه يجتاز هذه المرحلة ويعتم عمامة صغيرة ليصبح شيخا من (شيوخ) الشباب

(1) تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني . عبدالرزاق الهلالي . بغداد ١٩٥٩ .

تلوح على سيماه معالم الاريحية والذكاء ، ويمتاز بين اقرانه بالرزانة ورجاحة التفكير ، وسرعة الخاطر ، وحضور البديهة ، وخفة الروح • يزين ذلك كله لسان عربي فصيح لم ينطق العامية الدارجة الا نادرا •

في مدرسة الحياة

واذا كان هـذا الشاب قـد اكتفى بمـا حاز من علم وادب ومعرفة بعـد اجتيازه مرحلة (السطوح) ، وأصبح شيخا من الشيوخ الفضلاء ذاك هو (الشيخ محمد باقر الشبيبي) فان دراسته قـد استمرت في (مدرسة الحياة) التي هي أكبر مدرسة !

فقـد تهيأ لهـذا الشيخ الصـغير ، محيطان عامران بكل وسـائل الثقافة والعلوم والمعرفة آنذاك هما ، البيت الذي نشأ فيه ، والمدينـة الي عاش فيهـ زهرة شبابه ، وكان لهذين المحيطين أثرهما الكبير في تنشئته ، وصقل مواهبه ، واظهار كفاءاته وقابلياته •

محيط البيت

فقد نشأ في بيت رفيع لم يكن الا مدرسة من أعظم المدارس نفعا وتربية وتوجيها ، يتولى ادارتها ويرسم مناهجها مرب عظيم واستاذ كبير ذاك هو الده المغفور له الشيخ جواد الشبيبي العالم الفاضل والاديب الكامل والشاعر الماهر ، الذي وصفه صاحب الحصون المنيعة قائلا انه(١) « فصيح بليغ ، لغوي مؤرخ ، حسن المحاورة ، جيد المحاضرة ، فطن ذكي ذو ذهن وقاد وفكر نقـاد وكانت داره العامرة يتدافع اليهـا طلاب آثار الـكوفة الحمراء ، طلاب اللغة العربيـة والأدب والحديث والتاريخ ، حيث يتلقون منه ما شاؤا من الاثار ، فللأديب فيها

(١) شعراء الغرى ج ٢ علي الخاقاني النجف • ١٩٥٤ •

ما يغنيه عن (كامل المبرد) و (آمالي القالي) وللنحوي ما يزهده في كتاب سيبويه ، وللشاعر ما يصقل ديباجته ويجدد له معناه ، وللمؤرخ ما يرشده الى مواطن التحقيق ومضان التدقيق[1] .

وعلى الرغم من كون هـذه الدار منتـدى لـكبار الادباء والشعراء والعلمـاء ، فقـد كان الكثير منهم يتهيبون مسـاجلة صاحبها بالشعر أو مداعبته بالنكت والملح والفكاهـة لانه كان من أقدر من عرف بسـرعة البديهـة ، ولانه كان من ابلغ الشعراء وافضلهم اشراق ديباجة واوضحهم اسلوبا، بل كان نسيج وحده ، من حيث غزارة المعنى والعمق اضافة الى سرعة الخاطر وحلاوة النكتة .

وقـد رسم الاستاذ جعفر الخليلي صورة عن هذا الشيخ الجليل قائلا[2] « وقد وعيت وانا واحد من عشاق أدبه ومتبعي بدائعه ونكتـه ، وكنت ابحث عن نماذج من رسائله وخطوطه بقصد المتعة وطلب الادب ، وكنت اقرأ ما احصل عليه بكل شوق ولهفة ، فقد كان العلمـاء كثيرا ما يتخـذون من قلمه ترجماناً للاعراب عن رغباتهم ومقترحاتهم فيبعثون بها للباب العالي في اسطنبول ، فقـد عرف ببراعة انشائه كما عرف بحسن خطه ليس في النجف فحسب وانمـا في جميع الاوساط الادبية في العراق . وقد كان يكفي ان ينطلق بيت الشعر من فمه ويكفي ان يخط سطرا من نثره على الورق لكي تراه مرددا على الكثير من افـواه الادباء . امـا النادرة فحسبك منها أن كان يتلقفهـا الجميع من مختلف الطبقات ! ! » .

وهكذا وفي هذا المحيط الحافل بالحيوية والنشاط كان الشيخ محمد باقر منغمرا كل الانغمار ، يحضر مجلس أبيه الرائد مع بقية اخوانه ولداته ، ليعب

---

(١) مجلة الاعتدال العـدد (٩) شباط ١٩٣٦ لصاحبها الاستاذ محمدعلي البلاغي . النجف .

(٢) هكذا عرفتهم ـ جعفر الخليلي . بغداد . ١٩٦٣ .

من معينه الثر ، جرعات من الايمان الصادق والادب الرفيع والوطنية الحقة ، ويستمع الى المعجبين بأدب والده وهم يرددون اشعاره الوطنية قائلين ...

هو الشعب كن مستمسكا باخائه
وصل بنيه وأدرع بابائه
تفيأه ظلا فالمباني وان علت
هياكلها تندك دون بنائه
تذاف بماء الرفق طينة اهله
وتزدان بالاصلاح شهب سمائه ! !

أو يردد معهم مزهواً قوله ...

بلادك انها خير البقاع فقم ثبت بها قدم الدفاع
بلادك أرضعتك العز فاحفظ لها حق الأمومة والرضاع

نعم ، لقد كان يسمع في كل يوم العشرات بل المئات من أمثال هذه المشاعر الوطنية والاحاسيس القومية تنطلق عن لسان أبيه الفذ ، فاذا هو واخوانه ، نتاج ذلك البيت ، يتأثرون بتلك الروح ، ويخضعون لمؤثرات هذا المحيط الفعال . وصدق من قال ان الولد على سر أبيه ! !

محيط المدينة

أما محيط المدينة التي قضى فيها زهرة شبابه ونعني بها مدينة النجف الاشرف فقد اثر فيه تأثيرا كبيرا لا سيما بعد ما بلغ فيها مبلغ الرجال ، وغمرته الاحداث والوقائع السياسية في تلك الفترة ، ولكننا قبل الخوض في بحث هذه الآثار لابد لنا من اعطاء القارىء فكرة عن موقع النجف وطبيعتها كي يتسنى له فهم آثار ذلك الموقع في صقل بعض المواهب والقابليات لا سيما في عالم الشعر والادب .

فالنجف واقعة على مرتفع يشرف من جهة الغرب على (البحيرة) الجافة المعروفة ثم على افق واسع الرقعة مترامي الاطراف من الصحراء ، ولمغرب الشمس مساء كل يوم وانحدارها في قلب تلك البحيرة ، وجوف الصحراء منظر رائع ، اذ لا تكاد تغيب الشمس في كثير من الامسيات والعشايا حتى تسطع الكواكب أو يبزغ (ملك الليل) يتهادى من ناحية المشرق في سماء صافية الاديم صحيحة الهواء ، الى ان يغمر الصحراء والكون باشعته المضية ، فيتكون من ذلك منظر آخر لا يقل في روعته عن المنظر السابق ولا ينفك يذكي خيال النجفي الحساس ويغذيه غذاء لا ينفذ معينه ولا تنقطع مادته(١) .

وفي تلك المناظر الرائعة كما يقول الاستاذ محمد رضا الشبيبي ما بعث على التأمل ويوقظ الشعور والوجدان وفي ذلك السكون الذي لا يشعر التأمل الا في ظله ، استوحى كثير من شعراء النجف اشعارهم الوجدانية وهاموا في كل واد وأصبحت تلك الناحية بيئة صالحة لتنمية الخيال وارهاف الشعور ، سخية بانتاج الشعراء انتاجاً فاض عن حاجتها وربما جعل عنصر الخيال في حياتها أقوى من عنصر الحقيقة(٢)

ثم اذا عرفنا ما لهذه المدينة المقدسة من أهمية دينية كبرى لتشرفها بمثوى الامام علي (ع) وكونها مقر كبار العلماء والمجتهدين من رجال الدين المسلمين من الامامية وما تحتفظ به من تراث الكوفة العظيم ، كل هذه العوامل جعلت منها مركزا هاماً من مراكز الاشعاع الفكري والتوجيه السياسي لا سيما في اواخر القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، ويكفي ان نقلب صفحات الثورات التحررية وسجل الحركات الوطنية منذ العهد العثماني حتى يومنا هذا ، لنرى ما لها من تاريخ حافل بالامجاد والبطولات !

---

(١) مجلة الاعتدال عدد (٤) أيلول ١٩٣٤ .
(٢) المصدر السابق .

ففي كفاحها المرير ضد السلطة العثمانية الغاشمة ، وثورتها على الاستعمار البريطاني البغيض قبل ثورة عام ١٩٢٠ وخلالها وبعدها ، أمثلة رائعة من البطولة والتضحية في سبيل الحرية والاستقلال !

في هذا البلد الثائر وفي مثل ذلك المحيط المتحفز المتطلع الى مستقبل أفضل ، وعيش أمثل ، كان الشيخ محمد باقر الشبيبي قد تخرج في مصنع الرجال ، فاذا هو واقرانه من شبان هذه المدينة المقدسة الذين اكتفوا بما نالوه من تحصيل في مدارسها ينظرون الى المستقبل نظرة أمل ورجاء ، تختلج في نفوسهم مشاعر الوطنية الصادقة والحس القومي النبيل ، ولم يكن حال كل واحد منهم في ذلك البلد الطيب الا كما وصفه احدهم وهو المرحوم الشيخ علي الشرقي عندما قال :

وما بلد ضمني سجنه	ولكنه قفص البلبل
ترف جناحاه لم يستطع	مطاراً فيفحص بالارجل
لقد اقفلوا باب آماله	فحام على بابه المقفل ! !

وبعد فلا عجب ان يكتمل نضج شيخنا الصغير في هذا المحيط الفعال وفي تلك المدينة التي عرف عنها ، بانها مدينة التقاليد الدينية والقيود الاجتماعية الموروثة ، ولا عجب ان نقرأ له وهو في ميعة الصبا وسن الشباب المبكر ، شعرا رائقا عبر فيه عن مشاعره الوطنية واحاسيسه القومية اصدق تعبير ، فقد سجلت له صفحات بعض المجلات العربية كالعرفان الصيداوية والمنهل المقدسية والمقتبس الدمشقية ولغة العرب البغدادية والعديد من الجرائد العراقية التي صدرت في أواخر العهد العثماني ، سجلت له كثيرا من تلك القصائد والمقطوعات الشعرية التي أحدث نشرها بتلك الروح رد فعل قوي لدى السلطة الحاكمة أو في ذلك المجتمع المتزمت ، مما سنتناوله بالبحث في فصول قادمة

ولما كانت الروح الوطنية في هذا الوقت الذي شب فيه شيخنا الفاضل قد تنبهت في العراق ، وبدت الرغبة في نفوس شبابه جامحة من أجل النهوض بالبلاد واعلاء كلمتها ، فقد تشبعت هذه النفوس بحب العلم والاندفاع في سبيل تحصيله ، وأصبح مطمح كثير منهم السفر الى ديار الغرب لاجل الدراسة والتزود بالعلوم والمعارف الجديدة .. وقد كان الشيخ محمد باقر واحدا من هؤلاء الشبان الراغبين في السفر الى باريس ، مدينة العلم والنور لهذا الغرض، ولكنه على ما يبدو لم يوفق في تحقيق هذه الامنية لاعتبارات شتى . وها هو ذا في قصيدته (ألم تر ان الدهر يكتب ما تملي) التي نشرها في الجزء الرابع من مجلة لغة العرب الصادر في شهر تشرين الاول عام ١٩١٣ يقول :

لئن قطنت اهلى العراق فان لي ... بباريس اصحاباً أعز من الأهل
وان حرمت باريس مثل اخي الهوى ... فان بلادى حللت في الهوى قتلي
وان قل في ارض العراق مساعدى ... أشد يدى منها بأذرعها الفتل
فشتان ما بين العراق وبينها ... وبين اخي جهل يرى واخي فضل

خليلي لوما ان تشاءا أو أعذلا ... فلي أذن صما عن اللوم والعذل
فكم صدني عن نيل ما رمت معشر ... يكلفني ان اقتل العمر بالجهل
فبين صديق ليس يعرف غايتي ... وبين حميم قد ألح علي مطلي
اذا حكموا مالوا علي بحكمهم ... وان عدلوا جاروا على سنة العدل

ثم يصف لنا حنينه الى عاصمة النور فيقول :

أحن لها مثل الحمامة شاقها ... الى الأيك افراخ تحن الى الوصل
فبي ما بها من لاعج الشوق والأسى ... وما حملت من لوعة للجوى حملى
فها هي تشجيني فأصفق في يدى ... وها انا أصبيها فتفحص بالرجل

اجـل هاجني ذكر الترحـل للتي ... يروق لهـا قولي ويسـمو بها فعلي
ولعت بهـا طفلا لأني وجدتهـا ... تغـذي بألبـان العـلا فكرة الطفل
كتمت الهوى جهدى فحرره الأسى ... بمـاء المآقي ذا يخط وذا يملي
(لعل الصبا يهـدى اليهـا رسالة) ... فقـد تعبت ما بيننا ألسن الرسل ! !

نعم ان الظروف المحيطة به لم تساعده على تحقيق تلك الأمنية الغالية على نفسه ، فلا عجب ان سمعناه يقول :

فياراكبي متن القطـار بعـدتم ... مدى وقربتم للمنى زمنـاً قبـلي
ففزتم بمـا نلتم على شـقة النوى ... وخلفتم قلبي مراجلـه تغـلي
وكـم من رجـال شـاقهم ماشـربتم ... من العلم في باريس علا على نهـل
(يحنـون للمغنى الذي انتم بـه) ... ويصبيهم ذكر الاحبـة والاهـل
وما انا وحدي قـد كلفت بحبهـا ... فكم واجد وجدى وكم عاشق مثلي
فيـالائمي في حبهـا لي أسوة ... بقوم تنـاءوا عن مواطنهم قبلي ! !

ولئن حالت الظروف القـاهرة دون سـفره الى ديار الغرب لتحقيق تلك الرغبة في طلب العلم فقد كتب له كما كتب لاخوانه البقاء في ذلك المجتمع ، لكنه وجد في ما تخطه اقلام الكتاب على صفحات مجلات لغـة العرب والمقتطف والمقتبس والعرفان والمنهل والهلال والمنار وغيرها من المجلات والجرائد العربية ، وجد في ابحاثها ومقالاتها المنبع الذي يرتشف منه شتى العلوم والمعارف ، والمصدر الذي يقف فيه على احدث الاراء العلمية والنظريات الاجتماعيـة والاقتصـادية والسـياسة ، فأضاف حصيلة هـذه الدراسة الى ما كان ناله في مدارس النجف ومنتدياتها العلمية والادبية ، وما اكتسبه من ثقافة وخبرة ودراية عن طريق البيت الذي نشأ فيـه والمدينـة التي قضى فيها دور الشباب قبل ان ينطلق منهـا الى افاق أوسع كما سنرى في ابحاثنا القادمة •

في ميدان النضال

نحن اذن امام شاب مثقف سعى جاهدا لتوسيع مداركه وزيادة معلوماته ومعارفه حتى اذا أحس في نفسه القدرة والكفاءة ، راح يكشف للناس عنهما بما ينشره من قصائد وما يكتبه من ابحاث ومقالات على صفحات مجلات وجرائد العراق وسوريا ، لا سيما مجلات ، لغة العرب والعرفان والمقتبس والمنهل ، وجرائد الرصافة ودار السلام والرقيب التي كانت تصدر بانتظام في أواخر العهد العثماني • فلا عجب ان نراه ينشر قصيدة في عام ١٩١١ يعبر فيها عن مشاعره ويقول :

أيا بنت النعيم أقول حقاً ... لأنت احق في درك الجحيم
بكيت على شبابك حين اضحى ... ضحية ذلك الخلق القويم
اراك عقمت عن طلب المعالي ... وتلك نتيجة الفكر العقيم

ثم يقول :

اذا ما الجيد زانته عقود ... مرصعة بلؤلؤها النظيم
فلست ارى عقود الدر زينا ... لجيدك بل عقودا من علوم
ألست من الألى كرموا وطابوا ... وقد صعدوا لأفلاك النجوم ؟
ألم يهززك تاريخ مجيد ... ألم ينهضك للدين القويم ؟

الشبيبي والآلوسي

ثم تبدأ هذه الشخصية تستكمل قواهـا ، حتى اذا ما احست بما يحيق بأمتها العربية من ظلم وحيف ، يرتكبـه جلاوزة الاتحاديين لا سيما بعـدما جاهروا بدعوتهم الى (تتريك) الولايات العربية وعدم الاستجابة الى مطاليب العرب العادلة ، في هـذه الفترة ينظم هذا الشـاعر الشاب ، قصيـدة حماسية وينشرها في احدى صحف بغداد(١) فاحدث نشرها ضجة كبرى في المجتمع آنذاك اذ فسر البيت الذي جاء فيها والذي يقول فيه :

أأبنـاء هـذا الشرق تعسـاً لشـرفكم
أمـا فيـكم الا أبن خائنـة غمـر

فسر هذا البيت تفسيرات أوغرت صدر السلطة العثمانية ضده ، مما حملها على اجراء التعقيبات القانونية بدعوى انه طعن في شرف امهات موظفي الدولة ومس كراماتهن • وقد انقسم المجتمع العراقي بسبب هـذه القصيدة (التي لم يصلنا منها سوى هذا البيت مع الاسف الشـديد) الى حزبين ، حزب عربي يؤيد الشيخ محمـد باقر الشبيبي ويناصره ، وحزب يستعدي السلطـة عليـه ويطالبها بانزال العقاب به وتأديبه • اما الشاعر فقد اختفى ابان هذه الزوبعـة بعيدا عن الانظار في مدينة (الشطرة) التي له فيها اقارب واصدقاء كثيرون •

---

(١) لقد نشرتها جريدة الرقيب حسبما ذكره لنا الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي لكننا لم نستطع العثور على العدد الذي نشرت فيه مع الاسف •

ولما تباينت امام السلطة التركية ، تفسيرات هذا البيت ، قررت المحكمة انتخاب المغفور له العلامة محمود شكري افنديالآلوسي خبيرا ، يفسر لها معنى البيت وما يريده الشاعر من قوله (الا ابن خائنة)([1]) •

فلما كان يوم المحاكمة ، وقف العلامة الكبير ، يفند مزاعم خصوم الشيخ الشبيبي ويدحض ما ذهبوا اليه مبينا للمحكمة ما جرى عليه شعراء العرب وما يقصدون اليه بلفظة (خائن أو خائنة) وراح يضرب لهم أمثلة كثيرة من الشعر في الموضوع ، وأخيرا تلا على المحكمة قوله تعالى في سورة التحريم ، اذ قال عز من قائل :

« ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وأمرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا ، صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وقيلادخلا النار مع الداخلين» • ثم يقول وحاشا لله ان تخون نساء الانبياء بالزنى فالمقصود بالخيانة هنا هو مخالفة الامر ، وعلى هذا فان الشاعر حين قال (الا ابن خائنة) انما يريد ابن (مخالفة الامر) لا (ابن الزانية) كما يتوهم البعض !!

وهكذا وبناء على رأي المغفور له العلامة الالوسي ، اغلقت أول قضية اقيمت ضد الشيخ محمد باقر الشبيبي في المحاكم العثمانية ، ولكنها وان كانت قد اغلقت في سجلات المحاكم الا انها فتحت امام شاعرنا طريقا جديدا ذاك هو طريق الثورة على الظلم والدعوة الى الخلاص من الذل والعبودية لا سيما بعدما أحس بما تكنه نفوس أكثرية ابناء الشعب من مشاعر الرغبة في التحرر والانعتاق والخلاص من ربقة الذل والاستعباد !

ثم تمر الايام وتندلع نيران الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ وتنزل الجيوش البريطانية الى البصرة وتزحف صاعدة الى بغداد تلاحق الجيش التركي

---

(١) لم نستطع الوقوف على محضر الجلسة مع الاسف ولذا فقد استقينا هذه المعلومات من الاستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي والاستاذ البحاثة السيد مكي جاسم •

المنهزم وكان شاعرنا آنذاك في (الشطرة) ، فلما تناهت اليه انباء القتال وقرب تطهير أرض العراق من الاتراك الذين جثموا عليها زهاء اربعة قرون قال :

أبينوا لي التحقيق اني في شك
فهل طهرت أرض العراق من الترك ؟

وهناك في تلك الديار العربية في لواء المنتفق ظل الشيخ محمد باقر يتتبع سير الحرب ، فاذا هو يسمع بأعلان الهدنة وقيام الانكليز باحتلال العراق بكامله ، واذا بالحكام السياسيين الانكليز يتولون شؤون المدن العراقية المختلفة ! وفيما هو ينعم بفصل الربيع في تلك الربوع ، اذا به يتذكر ما آل اليه أمر البلاد ويؤلمه وضع العراق الجديد وينظم قصيدة عنوانها (رواء الربيع) يقول فيها :

نفض الربيع جماله ونضاره ... وكسا الأديم المكفهر بهاره

الى ان يقول :

بشرى الربيع المستقل فانه ... قد فك من شرك الشتاء أساره
حر تبسم للعراق بوجهه ... كي يستفز ببشره احراره
حملت عواصفه رسالة ثائر ... للمعرقين فهيجت ثواره
شتان بينهما فذا مستسلم ... للحادثات وذاك ادرك ثاره
هيهات ينتفض العراق من الكرى ... حتى يهز بسيفه بتاره
ليت العراق وقد تطور أهله ... يقضى ولو تحت الخفا اوطاره
سر النجاح اذا أراد نجاحه ... ان لا يبيح لغيره اسراره

* * *

وهكذا وبعد ان قضى في الشطرة اكثر من سنة ونصف السنة تعرف خلالها على مشاعر زعماء عشائر تلك الديار ووقف على احاسيسهم الصادقة نحو الحرية والاستقلال ، عاد الشيخ محمد باقر الى مسقط رأسه (النجف) ليقوم بما يحتمه عليه الواجب الوطني لا سيما بعد ان أصبحت هي الاخرى تحت

السيطرة البريطانية يدير شؤونها حكام بريطانيون امثال الكابتن كرين هاوس، والكابتن ونيكت والكابتن مارشال • ويساهم مع غيره من ابناء تلك المدينة الصابرة ، في ثورتها ضد السلطة البريطانية الغاشمة ، تلك الثورة التي اقضت مضاجع الانكليز وكبدتهم خسائر مادية ومعنوية كبيرة ، حتى اذا انتهى الحصار المضروب على المدينة باستسلام اهلها وموافقتهم على شروط القوة المحاصرة •

كان الشبان المتحمسون أمثال شبان آل الشبيبي وآل الجزائري وآل الصافي وآل كمال الدين وغيرهم يشتعلون غيرة واندفاعا في سبيل تحقيق استقلال البلاد وحريتها • لا سيما وقد كانت تتناهى اليهم أنباء الثورة العربية في الحجاز والشام وكفاح اخوانهم العرب في تلك البلاد الشقيقة ضد الاتراك ، تحملها لهم صحافة سوريا ومصر ولبنان •

وفي هذه الفترة العصيبة تنطلق من افواه قادة الاحتلال البريطاني ، الوعود الخلابة ، وتنشر المراسلات التي تبودلت بين قادة الحلفاء وزعماء العرب وتكشف عما جاء فيها من عهود ومواثيق وكلها يبشر باستقلال بلاد العرب ونيل ابنائها حريتهم وحقهم في تقرير مصيرهم • فاذا هو وغيره من احرار العراق يتطلعون الى ذلك اليوم السعيد يوم الخلاص من المستعمر الجديد بكل لهفة واندفاع •

وفي يوم ٨-١١-١٩١٨ اذيع في لندن وباريس ونيويورك والقاهرة نص البلاغ (الانكليزي - الفرنسي) ثم اذيع في بغداد يوم ١٥-١١-١٩١٨ فكان لاعلان هذا البلاغ رنة فرح وابتهاج لدى أوساط الشعب كافة(١) •

---

(١) نظرا لاهميته ننشره فيما يلي :-

« ان الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسا وبريطانيا العظمى في خوض غمار الحرب في الشرق من جراء اطماع المانيا • هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت اعباء استبعاد الاتراك ، تحريرا تاما نهائيا ، وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم • ولتنفيذ هذه الغايات قد اتفقت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى

=

اما في النجف الاشرف فقد وجد فيه شبانها المتحمسون امثال الشيخ محمد باقر الشبيبي والسيد محمدعلي كمال الدين والسيد سعد صالح والسيد احمد الصافي وغيرهم كثير ، وجدوا بعد نشر هذا التصريح ، ان الفرصة مواتية للعمل والتكتل وان الضرورة تقضي بتوحيد الكلمة وجمع الصفوف فباشروا بالاتصال بالشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ محمد رضا الشبيبي والسيد محمد رضا الصافي والسادة آل كمال الدين وغير هؤلاء من احرار النجف ، فاسفر هذا العمل عن جمع الطبقات المتحررة في صعيد واحد وراحوا يعملون جديا ضد السلطة المحتلة الغاشمة(١) . وفي هذه المرحلة من مراحل الكفاح الوطني ، بدأت شخصية الشيخ محمد باقر الشبيبي تأخذ دورها وتفتح طريقها في سوح النضال والجهاد ، اذ قام هو وزميلان من زملاء الكفاح ،هما المرحوم سعد صالح والسيد حسين كمال الدين بالسفر الى كربلاء ، حاملين معهم رسائل زعماء النجف وصور العرائض لتوقع من قبل زعماء كربلاء وغيرهم من الاهلين ، وهي تتضمن المطالبة باستقلال البلاد استقلالا ناجزا . فكانت سفرتهم هذه سفرة تحفها المخاطر لا سيما وان سلطة الاحتلال كانت قد احست بمالها من جواسيس وعيون ، بهذا التكتل وهذا النشاط .

على تشجيع ومساعدة انشاء حكومات وادارات وطنية في كل من سوريا والعراق وقد حررهما الحلفاء فعلا ، وفي الاقطار التي سيسعى الحلفاء في تحريرها والاعتراف بهذه الاقطار بمجرد تأسيس حكوماتها فعليا . وان فرنسا وبريطانيا العظمى لا ترغبان في وضع نظامات خاصة لحكومات هذه الاقطار بل لا هم لهما الا ان تضمنا بمساعدتهما ومعاونتهما الفعلية سير أمور هذه الحكومات والادارات التي يختارها السكان الوطنيون سيرا معتدلا . وان تضمنا سير العدل الشامل الخالي من شوائب المحاباة وان تساعدا التقدم الاقتصادي بانهاض همم الاهلين وتشجيع مشاريعهم وان تساعدا على تعميم التعليم والتهذيب وان تضعا حدا للتفريق الذي طالما توخاه الاتراك في سياستهم . هذه هي الخطة التي ستسير عليها الحكومتان المتحالفتان في الاقطار المحررة » .

(١) سعد صالح . محمدعلي كمال الدين . بغداد ١٩٤٩ .

ومع ذلك فان هذا النشاط السياسي لم يقتصر على كربلاء وحدها بل أمتد الى جهات اخرى ، فقد اتصل هؤلاء الاحرار بأحرار بغداد بواسطة المرحوم الحاج جعفر أبو التمن وباحرار الكاظمية بواسطة المرحوم الشيخ محمد الخالصي والمرحوم السيد محمدالصدر وباحرار البصرة بواسطة المرحوم عبدالمهدي المظفر ، فاسفرت نتيجة هذه الاتصالات عن افساد خطة جلاوزة الاحتلال البريطاني الهادفة الى تنصيب السير برسي كوكس ملكا على العراق([1]) كما اسفرت عن تنبيه الرأي العام العراقي والتأكيد عليه بضرورة الاجابة على الاسئلة الثلاثة([2]) التي وجهتها لهم السلطة المحتلة بصورة موحدة تدعو الى تشكيل حكومة عراقية مستقلة استقلالا تاما ويرأسها ملك عربي هو أحد انجال الملك حسين ملك الحجاز .

وفي الوقت الذي كان الشعب العراقي متحفزا للوثوب على هذه السلطة المحتلة ، كان قادة الحلفاء مجتمعين في باريس في (مؤتمر السلام) في فرسايل ، لاقتسام الغنائم ، في هذا الوقت ينشر الشيخ محمد باقر الشبيبي

---

(١) لقد تنبه الوطنيون الى هذه المكيدة فوجه أحدهم الى حجة الاسلام الشيخ محمد تقي الشيرازي هذا السؤال :

« ما يقول شيخنا وملاذنا حضرة حجة الاسلام والمسلمين ايده الله في العالمين ، ميرزا محمد تقي الحائري الشيرازي متع الله المسلمين بطول بقائه ، في تكليفنا ، معاشر المسلمين بعد ان منحتنا الدولة المفخمة البريطانية ، حق انتخاب أمير نستظل بظله ونعيش تحت رايته ولوائه ، فهل يجوز لنا انتخاب غير المسلم للامارة والسلطة علينا ؟ أم يجب علينا اختيار المسلم بينوا تؤجروا ! ! » وقد افتى سماحته على ذلك قائلا « ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب أو يختار للامارة والسلطنة على المسلم ، غير المسلم !! » .

(٢) ان الاسئلة الثلاثة هي :ـ

١ ـ هل ترغبون في دولة عربية واحدة تحت الوصاية البريطانية تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل حتى الخليج (الفارسي) ؟

٢ ـ هل ترغبون في هذه الحالة برئيس عربي بالاسم يرأس هذه الدولة ؟

٣ ـ من هو الرئيس الذي تريدونه في هذه الحالة ؟

قصيدة على صفحات جريدة « دار السلام » بعنوان (آلام الأجتماع) يعبر فيها عن ما يقاسيه سكان العالم عامة من شقاء وتعاسة ثم يخاطب المجتمعين في (فرسايل) قائلا :

يا دعاة السلم في قصر السلام اين مسعاكم الى تأييده
انتجت اتعابكم هذا الخصام أفلا نقوى على تبديده
فهلموا اسعوا الى رد النظام واعملوا حقا على توطيده
واذيعوه لدى اشياعه كم له بين الورى من شيع
واذا فتشت عن اتباعه لم تجد انت سوى متبع

* * *

ثم يساهم مع صحبه بتنظيم عرائض من جميع انحاء العراق لا سيما في العراق الاوسط ، لرفعها الى مؤتمر السلام هذا موضحين له ما اجمع عليه الشعب بعد الاستفتاء العام ، حتى اذا اتفقت كلمة رجال الدين الاعلام مع رؤساء العشائر الفراتية ، واستقر رأي الجميع على اسماع صوتهم وبيان مطاليبهم في الحرية والاستقلال قرروا ايفاد اخيه الشيخ محمد رضا الشبيبي الى الحجاز وسوريا حاملا معه الكتب الناطقة بانتدابه لبسط ما جرى في العراق وبيان ما اتفق عليه قادة الشعب(١) •

ولما غادر اخوه الكبير فرحا لقيامه بهذا الواجب الوطني ، مستهينا في سبيله بكل المتاعب والمصاعب ، احس شاعرنا بلوعة الفراق فاذا به ينظم قصيدة يسكب فيها عصارة ما في روحه من احاسيس صادقة نحو أخيه البعيد ، وها هو ذا يقول :

حنانا على مهج العاشقين
وعطفا على كبد الشيق

---

(١) العراق في دوري الاحتلال والانتداب • عبدالرزاق الحسني • صيدا ١٩٣٥ •

خلقت مـع الوجد في ليلة
فياليتني كنت لـم اخلق
ولا زمني ظـل شـخص الحبيب
لزوم الهـواجس للمطـرق

ثم يقــول :

بروحي مـن أم أم القرى
وعرج فيهـا عـلى جلق
فتى سـاءه ان يرى في البلاد
غريبـا يعيث فـلا يتقي
فتى فضـل العز في قفرة
على الذل فـي بلد مونق
فتى لـم يرقه هـوان العرق
فجازف في شـرخه الريق



الشبيبي وحرس الاستقلال

ولم يكتف الشيخ محمد باقر الشبيبي بما كان يقوم به من نشاط في النجف الأشرف أو في مختلف مناطق الفرات الاوسط ضد السلطة المحتلة ، بل سارع للاشتراك مع عدد من شبان بغداد الاحرار ، في تأسيس (جمعية سرية) يكون في مقدمة اهدافها انقاذ البلاد من براثن الاحتلال البريطاني وتعيد للكرامة العراقية مقامها وللعزة القومية قوتها فألف جماعة منهم وفيهم الشيخ محمد باقر (جمعية حرس الاستقلال) في نهاية شهر شباط من عام ١٩١٩. جعلوا في مقدمة اهدافها ، تحقيق استقلال البلاد العراقية استقلالا مطلقا والسعي في سبيل ضم المملكة العراقية تحت لواء الوحدة العربية ، على ان يكون في أول اعمالها توحيد كلمة العراقين على اختلاف مللهم ونحلهم ، وبذل قصارى الجهد للقضاء على كل بواعث الافتراق في الدين والمذهب(١) وقد اصبح الشيخ محمد باقر الشبيبي في مقدمة اعضائها البارزين اذ كان همزة الوصل بين مقرها في بغداد وبين فروعها التي انتشرت في النجف ومناطق الفرات الاوسط المختلفة ، اذ رحل عدة رحلات الى تلك المناطق ساعيا لايقاد جذوة الحماسة وتهيأة الرأي العام واعداده لليوم الموعود .

وقد أصبحت هذه الجمعية ، ذات نفوذ واسع في شتى مناطق القطر العراقي حتى انها تفوقت على ما كان لشعبه (جمعية العهد العراقية) من نفوذ(٢) .

---

(١) الثورة العراقية الكبرى . عبدالرزاق الحسني . صيدا . ١٩٥٢ .
(٢) مقدرات العراق السياسية ج٢ . محمد طاهر العمري . بغداد ١٩٢٢

ومن ابرز صور النشاط الذي ابداه الشيخ محمد باقر الشبيبي لهذه الجمعية ، انه استطاع ان يجلب عطف علماء النجف الاعلام ويستميل رؤساء عشائر الشامية الى جانبها ، فقد عقدت الجمعية معهم ، اجتماعات غير قليلة في بغداد ، تذاكروا خلالها بما يجب اتخاذه للقيام بثورة دموية ان لم تلب السلطة المحتلة مطالب الشعب وآماله في الحرية والاستقلال[1] .

وفي مثل هذا الجو المتأزم صدر قرار مؤتمر (سان ريمو) القاضي بجعل العراق تحت الحماية البريطانية ، فاضطرب له الشعب العراقي وهاج متأثرا غاضبا ، فاستغلت (جمعية حرس الاستقلال) هذا الوضع وقررت توسيع نطاق فعالياتها وراحت تعقد اجتماعات في بغداد وكربلاء والنجف ، حتى اذا تسنى لها دراسة الحالة من جميع جوانبها قررت وجوب القيام بمظاهرات كبيرة احتجاجاً على ذلك واتخذت من تلاوة الموالد في جوامع بغداد وسيلة لابداء السخط والاحتجاج على ذلك القرار الغاشم . ولما رأت السلطة المحتلة مدى فعالية (جمعية حرس الاستقلال) وشدة تأثير توجيهاتها في الشعب سارعت بالقاء القبض على بعض زعمائها وابعدتهم الى جزيرة (هنجام) وكان ذلك في اواسط شهر شباط من عام ١٩٢٠ .

تجاه هذه التدابير القاسية لم يجد بقية اعضاء الجمعية بدآ من الهرب الى الفرات الاوسط وكان الشيخ محمد باقر الشبيبي من بينهم ، وهناك تذكر اخاه (محمد جعفر) الذي كان من جملة المنفيين في هنجام وساءه ما وصل اليه من انباء المعاملة القاسية التي يلقاها هو واخوانه من قبل جلاوزة الاستعمار ، فنظم قصيدة يقول فيها ...

قلب يقطعه الأسى   وحشا يذوبه الزفير

---

(١) ج ٣ ص ٦٠ . المصدر السابق .

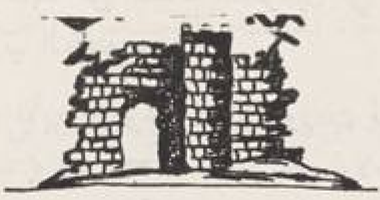
قالوا السعير بقلبه … صدقوا فمهجته السعير

مثل البحور دموعه … يجرين أو هن البحور

الى ان يقول :

ذات الجناح الا أعار … جناحها فعسى اطير

لي في السجون مناحة … وعلى الغصون لها هدير



الصحافي الثائر

ولما عاد الشيخ محمد باقر الشبيبي الى النجف الاشرف كانت نذر اندلاع ثورة شعبية عارمة تبدو جلية واضحة في الافق ، حتى اذا كان يوم (٣٠حزيران عام ١٩٢٠) واطلق الشيخ (شعلان أبو الجون) في الرميثة طلقته الاولى ، اخذ لهيب هذه الثورة يمتد فيشمل مختلف مناطق الفرات ، وكانت مدينة النجف ، عاصمة الثورة ، ومركز عقلها المفكر . ولما كان الشيخ محمد باقر الشبيبي ، ذلك الشاعر والسياسي الثائر ، يعرف ما لتنظيم وسائل النشر والدعاية والاعلام من أثر هام في توجيه الرأي العام وتوحيد مشاعره ، بادر وهو الاديب القدير بأصدار (مناشير) يومية يذيع فيها اخبار المناطق الثائرة ، والتوجيهات والنصائح السديدة التي تهدف الى خدمة الثورة ونجاح مخططاتها . وان من يلقى نظرة على أحد تلك المناشير، وما جاء فيها من توجيهات يعتقد جازما ان كاتبها لم يكن الا ضابطا من الضباط المتخرجين في كلية الاركان وقائدا من قواد المعارك والحروب النظامية .

ونظرا لأهمية الآراء والتوجيهات التي وردت في المنشور الذي أصدره يوم (١٤ ذي القعدة) عام ١٣٣٨هـ ، فها نحن اولاء نثبت في ادناه ما جاء فيه بعد الديباجة(١) حيث قال مخاطباً الثوار قادة وافرادا .

---

(١) تاريخ القضية العراقية : محمد مهدي البصير ـ بغداد ١٩٢٤ .

ان الوطن الذي الزم كل فرد منكم بالدفاع عنـــه ، يلزمكم أيضـا بأن تراعوا الشروط الآتية :

١ ـ يجب على كل رئيس قبيلة ان يفهم كافـة افرادهـا بأن المقصود من هـذه النهضة ، انما هو طلب الاستقلال التام •

٢ ـ ان يهتف للاستقلال كل من في ميادين القتال •

٣ ـ يجب تأمين الطرق وحفظ المواصلات بينكم وبين مناطق الثورة في البلاد •

٤ ـ يلزم التمسك بالنظم وتدبير الحركات ، ومنـع الاعتداءات ، فلا نهب ولا سلب ولا ضغائن قديمة ولا أحقاد •

٥ ـ من الواجب بذل الهمـة لحفظ الرصـاص فلا يجوز اطلاقه في الهـواء بدون فائدة •

٦ ـ يجب الاعتناء بالاسرى ، ضباطا وجنودا ، انكليزا أو هنودا •

٧ ـ يجب ابقاء ادوات التلغراف والتلفون ، وحفظ الاعمـدة فأن في حفظها منافع عظيمة للامة ، نعم يجب قطع الاسـلاك البرقية الى حد تقطع معه مخابرات الحكومة المحتلة •

٨ ـ يجب الاهتمام بقطع السكك الحديدية ولا سيما نسف الجسـور والقناطر التي يمر عليها القطار •

٩ ـ يجب الاحتفاظ بما يقع تحت ايديكم من عربات النقل والسيارات والمراكب

١٠ـ يجب حفظ المدافع والرشاشات ولايجوز تخريب الآتها أو تفريقها مطلقاً لأنها من أكبر وسائط الفوز وأعظم وسائل النصر •

١١ـ يلزم حفظ الذخيرة المغتنمـة كالرصـاص والقـذائف والقنابل وسائر أنواع البارود •

١٢ـ اذا اسقطتم مدينة أو قرية فلا تتركوها منحلة بل الواجب ترتيب حكومتها المؤقتـة •

١٣ـ لا تهـدموا محلات الحكومة وأبنيتها الا اذا كانت معقـلا ولا تتلفوا اثاثها لأحتياجاتكم اليها في المستقبل •

١٤- حافظوا على المستشفيات وكافة ادواتها واجزائها .

١٥- ارفقوا بجرحى خصومكم الساقطين في الحرب ، فلا شيء يستحق الرفق والعطف مثل الجريح الذي يعاني من ألم جراحه ما يدمي القلوب ويبكي العيون([1]) .

ان هذا النموذج كفيل وحده بأعطاء القارىء فكرة واضحة عن هذا الثائر وعن روحه الكبيرة ونفسه الجياشة بالاخلاص لوطنه والايمان بعدالة قضيته .

ومهما يكن من شيء فأنه لم يكتف بهذا الاسلوب في التوجيه والارشاد بل قرر اصدار جريدة خاصة تحمل اسم (الفرات) لتكون لسان الثوار الاحرار والمعبر الصادق عن اهداف الثورة الوطنية ، وفي يوم ١٥ أيلول ١٩٢٠ شرعت جريدته هذه في اداء رسالتها وراحت تنشر المقالات الوطنية التي يرد بها على اكاذيب الاستعمار ودسائس الانكليز وتفصح من جهة اخرى عن اراء قادة الثورة ورجال السياسة وشيوخ القبائل ، كما راحت تنشر أجوبة العلماء الاعلام من رجال الدين الكرام وفتاواهم ومراسلاتهم وخطبهم .

وبدت (الفرات) اشبه شيء بصاحبها ، تكتب بدم القلب لا بحبر القلم ، وحصرت بحثها في الشؤون السياسية وكتابة المقالات الاستفزازية واذاعة الخطب التي تلقى في محافل الثورة([2]) .

ويبدو من دراسة تاريخ الصحافة في العراق ان هذه الجريدة الثائرة كانت قد أصدرت أربعة اعداد ثم توقفت عن الصدور الا انها عاودت نشاطها فصدرت من جديد في يوم (٣ محرم الحرام عام ١٣٣٩هـ) وفي كلمة (العدد الخامس) الافتتاحية قالت :

(تعود الفرات الى الصدور بأيجاب من الهيئة العلمية وزعماء النهضة العربية ، والامل ان اولياء الامور الذين قاموا بنشر هذه الصحيفة الحرة واهتموا

---

(١) العراق في دوري الاحتلال والانتداب . المصدر السابق .
(٢) الصحافة في العراق . رفائيل بطي القاهرة - ١٩٥٥ .

باظهارها وصمموا على استمرار اصدارها سوف يستمرون على القيام بشؤونها وضمانة حياتها لتعيش كما تعيش الصحف الراقية ذات المبدأ الصحيح فيكون لها مكان عال وشأن في العالم رفيع) .

وقد كان مفروضا ان تستمر على الصدور بعد هذا العدد الا ان خفوت لهيب الثورة بعض الشيء ، وتفرق كثير من زعمائها في انحاء غير متقاربة لم يحقق امنية صاحبها ولذلك توقفت عن الصدور الى الابد .

الشبيبي يناقش الحاكم البريطاني العام

ولابد لنا ونحن ندرس الشيخ محمد باقر الشبيبي ، ان نثبت له على صفحات هذا الكتاب مقالا من المقالات السياسية الهامة التي دبجها يراعه ، على صفحات (الفرات) لنأخذ فكرة عن أسلوبه في الكتابة ونقف على طريقة تفكيره وكيفية معالجته لقضايا الوطن ، فلسوف ننشر في الصفحات القادمة المقال الذي صدر به العدد الخامس والاخير من جريدته الذي جعل عنوانه (رأي الامة وكتاب الحاكم العام) ، ولما كان هذا المقال يناقش ما جاء في كتاب (السير أرنولد ولسن) الذي بعث به الى (حجة الاسلام شيخ الشريعة الاصفهاني) على أثر وفاة (حجة الاسلام الشيخ محمد تقي الشيرازي) يوم ١٧-٨-١٩٢٠ فحري بنا ان ننشر نص هذا الكتاب كي يتسنى للقاري فهم الاغراض التي يقصد اليها الاستاذ الشبيبي في رده ، ويعرف العبارات الواردة في مناقشته وتفنيده ، والى القاري الكريم نص هذا الكتاب .

حضرة العلامة الفهام حجة الاسلام والمسلمين آية الله تعالى في العالمين

شيخ الشريعة الاصفهاني دام علاه

بعد اهداء السلام والتفقد عن صحة ذاتكم الشريفة ، نأمل ان كتابنا الذي

أظهرنا فيه احساساتنا الودية وتبريكاتنا الصميمة بتقلدكم هذا المقام المنيع ، والشرف الرفيع الذي انتم حائزون عليه الآن ، قد وصلكم سالما ، ولكن في الحقيقة ونفس الامر ان المقام الرفيع يستوجب التعزية والتسلية ، لا التبريك والتهنئة في هذه الايام نظرا الى المصائب التي انتابت العراق وسائر ابنائه ، وكان هذا من اراء سلفكم المرحوم المبرور الميرزا محمد تقي الشيرازي طاب ثراه ، الذي كما هو معلوم لدى العموم عبر في احدى مفاوضاته الاخيرة ، انه يريد الصلح بين الحكومة والملة ، واجتناب سفك الدماء وازهاق النفوس ، ولا يمكنني ان اشك بأن الذات الممتازة بصفات الانسانية والتقوى لحضرتكم لابد ان تشعر بهذا الشعور السامي .

واما من جهة الحكومة فكما هو معلوم في اقطار العالم ان الحكومة الانكليزية المعظمة ، قد اعتمدت دائما على الاركان الثلاثة ، هي الرحمة والعدل والتسامح الديني ، ومن قبل ان تقع الحرب العظمى كان للدولة الانكليزية التي شعارها المسالمة ، جيش صغير للدفاع عن نفسها ، فلما أسرع الالمان والاتراك من تلقاء أنفسهم بالهجوم على بريطانيا العظمى ، قامت الامم الموجودة في الممالك الانكليزية قومة واحدة ودخل ابناؤها صفوف الجيش ، ولما انكسر العدو شر كسرة ووضعت الحرب أوزارها كان للدولة الانكليزية جيش جرار عدده خمسة ملايين منتشر في بلاد العدو في العالم بأسره ، ولما انتهت المنازعات بادرت الدولة الانكليزية بترخيص عساكرها بالرجوع الى منازلهم واوطانهم والعودة الى الحياة السلمية ، فنقص بذلك عددهم نقصاً كبيرا ، على انه يمكن حشد هذا العدد العظيم مرة اخرى متى دعت الحاجة الى ذلك .

واما من جهة ثروة الدولة الانكليزية وسائر موادها فلا يلزم ان اشرح ما هو ظاهر كالشمس في رابعة النهار ، فأهل العراق قبلوا الدولة الانكليزية وكانوا مسرورين من بقاء جيوشها في هذه البلاد لما غلبت الاتراك ، ولكن لما رأى بعض المفسدين والمغرضين ذلك التنقيص في جيشها ، قاموا يشوشون الاذهان

ويخدشون الافكار ، وملخص الكلام هو ان ظهرت هذه الحالة الحاضرة التي توجب الاسف وما هي الحالة الآن ؟ هي ان العشائر العراقية في حالة الحرب، قوية ، ولكن عددها قليل وليس لها من الدراهم الا القليل ولا توجد لديها وسائل لأختراع الآلات الحربية كالمدافع والبنادق والرصاص ، ولا يمكنها ان تحصل على المعاونة من الخارج ، واذا لم ترجع الى زراعتها فأنها ستتلف وتموت جوعا .

ها قد بذل العرب حتى الآن كل ما في وسعهم من الجهد ولا يمكنهم ان يأتوا بعمل فوق ما عملوا وهم يرون رأي العين ان قوتهم مائلة الى الزوال ، بعكس الحكومة فأن قوتها كانت في مبدأ الامر قليلة فتمكنت العشائر ان تسبب لها بعض المضايقة ، ولكن الآن ترد المراكب للبصرة كل يوم حاملة العساكر والمدافع والقنابل والبنادق والرشاشات والذخائر الحربية وسائر ما يلزم للاعمال العسكرية واذا اقتضى نظركم الشريف ان تبعثوا معتمدا الى بغداد لكي يشاهد هذه الاشياء بعينه فأننا نرحب به ونرجعه سالماً آمناً بدون تأخير .

فبناء عليه ان النتيجة النهائية هي معلومة فلم يدوم سفك الدماء ؟ ؟

ان الحكومة الانكليزية عملا بقواعدها الجارية ، ستجازي بعض المشايخ وغيرهم الذين ضللوا بالناس واسماؤهم معلومة عندي ، كما هي معلومة لديهم ولا ريب ان فضيلتكم تعرفونهم أيضا ولا حاجة الى ذكرها هنا ولكن لا خوف على غيرهم ولا على عامة الناس بل يمكنهم ان يرجعوا الى اوطانهم ومنازلهم سالمين وستسلم نفوسهم ، كما لا يخفى على فضيلتكم بأني لما رأيت لزوم هذه المسألة واهميتها فقد عينت حضرة (الكولونيل هاول) ناظر المالية ، نائبا عني ليدخل في المفاوضات والمراسلات التي لابد ان تجري قبل ان تنتهي المنازعات ، وبما ان حضرتكم مشغولو البال في الامور الدينية والمسائل الروحانية على الاغلب فلهذا نرجوكم ان تعينوا معتمدا معتبرا أو معتمدين لكم لكي يلاقوا (الكولونيل

هاول) في محل مناسب ويتباحثوا معه في هذه المسألة المهمة هذا ما لزم ذكره لفضيلتكم .

وفي الختام نبلغكم احتراماتنا الوافرة وتحياتنا الصحيحة والسلام .

بغداد في ٢٠ آب ١٩٢٠

اللفتننت كولونيل

السر ارنولد ولسن

الحاكم الملكي العام في العراق

وعلى أثر ورود هـذا الـكتاب الى حجة الاسـلام الاصفهاني بادر الشيخ محمد باقر الشبيبي بالرد عليه بجريدته ، وفيما يلي نص هذا المقال[١] .

رأي الامة وكتاب الحاكم العام ! !

وقفنا على صورة كتاب الحاكم العام الى المقام الروحاني المنتشر في جريدة العراق المؤرخة في ٣٠ آب اغسطس ٧ ذو الحجة سنة ١٣٣٨هـ وفي منشورات مستقلة وزعتها الطيارات ، فشكرنا تودده للمقام العالي ، ولما كان مشـتملا على اشياء لا تتفق مع مراده ، بل كانت على العكس نقيضا للغرض الذي افاض فيه، رأينا ايقافه على جلية الامر ، واطلاعه على رأي الامة الاخير ، فينكشف لعدل الدول ، من ضلل الناس وطوح بالبلاد والعباد ! !

ثم نسأل الدول بعد ذلك ان تحكم على مسبب المصائب في العراق لينال لعنة العالم المتمدن .

وهون عليك يا ممثـل الدولة الانكليزية ، ان الامة التي ناصبتها العـداء وحكمت فيها السيف فأرقت دماءها وازهقت ارواحهـا ، عداء محضـا وتحكمـاً صرفا ، بلا خوف من الحق ولا وجل من العدل ، ستقف واياك امام محكمـة التاريخ ليعلم من هو المجرم الذي اتلف النفوس وجنى على البشرية بلا رحمـة ولا عطف ، فالويل لمن صبغ الارض بدماء الابرياء !

---

(١) العراق في دوري الاحتلال والانتداب المصدر السابق .

يا ممثل الدولة الانكليزية •• ماذا صنعت أمة العراق المظلومة حتى تستحق من ضباط الاحتلال هذا الفتك الذريع والتمثيل الشنيع والهتك الفظيع ، افعال تخجل منها العصور الاولى وتشمئز من فجائعها قرون الظلمة والظلم ! !

ويل لكم يا ضباط الاحتلال من ظلامة أمة كان جواب مطالبها الشرعية حز الرؤوس ، وتوصيل الاعضاء وحرق الجثث والتمثيل بالنفوس المحترمة !! ليت الذين رفعوا مقامكم في العراق لتغرسوا محبتهم في القلوب ، يشهدون ماذا أنتم تعملون وتقترفون ، ليت الذين بعثوكم للحرية والمساواة يشهدون فصلا واحداً من المأساة التي قمتم بها بظلمكم وتضليلكم ، فالمحنة التي أوجدتموها في العراق سوف تبقى اثارها بالمقام الرفيع •

يا ممثل الدولة الانكليزية • • أنت • • بسياستك الرشيدة بسلوكك العجب •• بحزمك الغريب •• بحصافة رأيك •• برصانة عقلك •• أنت بتدبيرك ••افسدت على حكومتك سياسة اجيال في الشرق كله ، لا في العراق وحده ، فأنت وحدك المسؤول امام الله وامام العدل والقانون عن الجرائم التي ارتكبتها في العراق ، عن المظالم التي أنزلتها بالامة حتى امتلأت فيها دوائر ظلمك ، وغصت بها زوايا جورك ، فأنت وحدك بأظهارك العداء وبأعلانك سفك الدماء شوهت محاسن المدنية الانكليزية وكتبت لثلاثة ملايين من أبرياء العراق ان تزول ثقتهم من كل بريطاني ، وان كان مثالا صحيحا للعفة وطهارة الوجدان ! !

فيا مسبب مصائب العراق ، يا سفاح الانكليز ، لقد جنيت على حكومتك الموقرة جناية ما روى التاريخ نظيرها لسفاح قبلك •

أهكذا يكون جزاء الذين رفعوا مقعد حكومتك واجلسوك على منصة لست لها وليست لك ؟ هي للسياسي المحنك ، للحاكم الرشيد للمدير القدير ، منصة يتربع عليها العدل والانصاف لا الظلم والاعتساف ، فويل لمن اقامك تمثالا للقسوة والغلظة •

يا ممثل الدولة الانكليزية ، أتعزى المقام الروحاني ومنك الرزية

أتعزيه بقولك « ان المقام يستوجب التعزية والتسلية لا التبريك والتهنئة في هـذه الايام التي انتابت العراق وسائر الممالك » ؟ ؟

فيا حضرة الحاكم العام ، ان ما نزل بالامة فمن المصائب التي هيأت أنت أسبابها . فالأمة بريئة وأنت المذنب ، ألست الذي سحقت الحقوق ، ودست القانون ؟ ؟ فخنت الامة بما أعددته من الجيش ، بالنار ووسائل الخراب والدمار فجهزت على النساء والاطفال والشيوخ والكهول ولوثت البلاد الطاهرة بالشرور كل ذلك لأن الامة ابت ان تعترف بوصايتكم ؟ أبت ان تعيش في ظل حمايتكم ؟؟

واغرب من ذلك يا حضرة الحاكم ، انك نسبت المصائب الى فقيد الاسلام، بقولك ... وكان هـذا من اراء سلفكم ، يا لله .. أي الاعتداءات تغفرها لك الامة ؟ ؟

اتعزيتك لشيخ الاسلام بما انزلته من الرزايا على العرب والمسلمين ؟

أم نسبتك المصائب الى الفقيد الذي طالما حذرك من الغرور والفتك الى عواقب الامور ؟ ونبهك الى نتائج الاستهتار في مخالفة الامة المظلومة .

وعدم تمكينها من حقوقها المهضومة واعطائها الاستقلال التام ؟ كم اراك في كتابه الابيض فجر هذا اليوم الاسود ؟ ؟

يا لله يا حضرة الحاكم العام ، كيف تطاولت الى ذلك المقام ، فتحاملت على عصمته . وتجاوزت على كرامته غاضاً طرفك عما تركته في مهج المسلمين واحشاء العراقيين من الجروح التي هيهات ان تلتئم ، ألم يكفك اذ قتلت نفسه الكريمة بجرائر جيشك وجرائم افعالك ، حتى بريت سهام تهمك الى نزاهته ؟! بهذا تريد ان تمكن صداقتك مع الامة ؟ أهذه هي السياسة الرشيدة التي تنسب الى الفقيد ؟ مصائب أحدثها عقوقك وغرورك ؟ أهذا هو السلوك وأنت مع هذا تقول في كتابك .. انه .. أي الفقيد عبر في احدى مفاوضاته انه يريد الصلح بين الحكومة والملة واجتناب سفك الدماء وازهاق النفوس ... فما هذا التناقض الغريب ؟ ؟

نعم انه طيب مثواه ارادك ان تلين فأستعصيت ، وسألك ان تضع حدا للظلم

والاعتداء بأعطاء الامة الاستقلال فاغضيت وثابرت على انزال العقاب والعذاب • والامة ساكنة وأنت لم تسمع نصائح الفقيد ومواعظه البليغة • فكيف تريد ان تبرر اعمالك ؟ ؟

ثم بعد ذلك تقول ••• « ان الحكومة كما هو معلوم في اقطار العالم قد اعتمدت دائماً على الاركان الثلاثة وهي الرحمة والعدل والتسامح الديني » فحبذا هذه الاركان فأنها شعار الدولة الحرة ، لو صح اعتمادك عليها لما فر العراق من وحشيتك ، وفر ابناؤه من وجه مظالمك ؟ ؟

قد تظن بأن حكومتك الموقرة شادت على هذه الدعائم فخامتها ، ولكنك هدمتها بمقالع جورك وقسوتك وتعصبك فويل لكم يا ضباط الاحتلال • •

اما الرحمة وأينها منكم يا قساة الرحمة ؟ ؟ فضيلة قد رحلت عن قلوبكم ، وابتعدت عن ضمائركم ! ! الرحمة أحدى مميزات الانسانية التي لا تعرفون معناها •

هي أسم عندكم ومسماها ليس عندكم ، وتشهد على ذلك قلوبكم بالقسوة وأنيابكم بطحن العالم • فقد خلفتم من بعضه تاريخاً لشدتكم مكتوبا بالدماء المراقة في (الرميثة الحمراء) وفي عرائش الفقراء ••• فكم بيت أوقدتم على من فيه ، النار ؟ فأصبح الرضيع ملتهبا والشيخ الفاني بجنب الاعمى ، وقودا لنيرانكم ، لا يتميزون الا بعد ان تجمع اوصالهم التي وزعتها سيوفكم •

وعلى هذا الحال استمرت رحمتكم في (الجربوعية) و (بابل) حرقا تستغيث منه النار ، وقتلا اظهرتم فيه ضروب التمثيل •

أهذه هي الرحمة التي بنيتم عليها دولتكم ؟؟ وأقمتم عليها سياستكم. اذن صفوالنا قسوتكم حتى نهيء للعراق على حدوده ، محلا في الجو ، يجاور به النسور ، فأنها ارحم منكم وأرأف •

هـل نقابل بين رحمتنا ورحمتكم ؟ ؟ فهي عنـدكم تبعيد الابرياء من العلماء وأولاد الفقراء والزعماء وتعذيب المنفيين • والاسراء يئنون تحت القيود الثقيلة والاغلال المؤثرة قيود لا تصبر عليها اعناق الفهود •

اما عنـدنا فلطف بالأسير ، وبر بـه ونظر الى الاجنبي ملؤه العطف •• نتفقـد شـؤونه ونرعى احواله ونسـهر لترويحـه ونحرص على حياته •

فالأسير عندنا غير أسير ، والأجنبي كالوطني نساويه في الحقوق ونواسيه في كل شيء •

اخلاق اخذناها من شريعتنا وفضائل تلقيناها من مدنيتنا فأين مدنيتكم يا ادعياء التمدن ؟ ؟

ها انظروا الى رحمة رجالنا وكبارنا واقرأوا رسائل علمائنا في الرفق باسرائكم والرحمة بمرضاكم •

انظروا كيف أو كل المقام الروحاني أمره الى من لزمه بذلك من المشاهير فكتب اليه الرسالة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

« سلام عليك وثناء على اخلاصك ، وبعد غير خفي على نباهتك ان للأسرى في الشريعة الاسلامية مكانة عالية ، فالعناية بهم فرض والتوجه الى اكرامهم حتم ، واني أوصيـك ، أطال الله حيـاتك ، بتعـهدهم على الاتصال ، وتفقد احوال صحتهم ومعاشهم ، ما داموا وديعة مقدسة وامانة محترمة فيلزمك البذل لهم والتوفير عليهم ويجب تصديك لتحقيق راحتهم أكثر من الايام الماضية واني قوي الامل بأنك تنشط الى هذا (التكليف) لأنه شرعي ، مدني ، انساني ، فواظب على الانفاق عليهم حتى يتعين الى نفقاتهم مورد خاص فقد اعتمدتك وأوكلت ذلك الى عهدتك وألزمتك به ، ولا عذر لك ودم مؤيدا » •

شيخ الشريعة الاصفهاني

هذا مثال صغير من رحمتنا فهل أظهرتم شيئاً من رحمتكم ؟ ؟

نعم كفى باستمراركم على الفتك بالامة وغصب حقوقها الطبيعية ، شاهداً على رحمتكم وصدق لهجتكم ، واما عدلكم ، فقد تبيناه منذ تسلمتم ازمة البلاد التي أصبحت تئن من ظلمكم .

فيا حضرة الحاكم العام ... لقد هدمتم هذا الركن بمقالع من السياسة التي اهلكت الحرث والنسل وأتت على الاخضر واليابس ، فتراب كل منطقة يشهد بأنكم سلبتم الحب حتى من منقار الطائر ، واستخرجتم المخ من العظم وضاعفتم الخراج اضعافا على الزراع ، فأصبحوا يسألون الناس الحافا ، وانتم تسألونهم فوق الجهد وتكلفون نفوسهم فوق الوسع . أهذا عدلكم ؟ ؟

نعم ان السجون والمنافي والديوان العرفي شهود على عدلكم وبراهين على صدقكم فأين العدل الذي تزعمون ؟ أوفيتم بوعد ؟ أثبتم على عهد ؟ اين البيانات الرسمية ؟ اين القطوع الدولية ؟ اين عهود الطائف ؟ اين الاستقلال ؟ اين الادارات الوطنية ؟اين منشور مود ؟ اين وثائق مكماهون ؟ ؟ أكان العدل يا حضرة الحاكم ، ان تكموا الافواه التي طالبت بالحق ؟ ؟

وتدفعوا طلاب الاستقلال الى المنفى ؟ ؟ عقاب صارم وعذاب دائم وجرائر ثم تريدون الالتئام مع الامة وانتم تريدون نفوسها للقتل واموالها للاغتنام واعراضها للفتك واوطانها للاستيلاء ؟ ؟

أهذه هي العدالة ؟ ؟ سلام الله على ظلم الفراعنة ! !

واما التسامح الديني أو الدعامة الثالثة التي أقمتم عليها بناء حكومتكم فدعوى كاذبة تشهد عليها المعابد والمساجد وقبور الائمة المقدسة ولئن تقادم عهد حادثة النجف ، فحادثة مسجد الكوفة غضبة في أول النهضة أما صيرتم ساحته هدفاً لمقذوفات الطيارات ؟ ؟

أما خلطتم ترابها بلحوم المترهبين والمترهبات ؟ ؟ اما أدخلتم رؤس الأطفال بصدور الامهات ؟

ألم تمنعوا مجالس الموالید وسائر الشعائر ؟ ؟ أكان التسامح في الدين رمي جوامع المسلمين وحصر مجامعهم ومنع اعيادهم ومراسيمهم ؟ هل الاستيلاء على الاوقاف الاسلامية تسامح وتساهل ؟ ؟ وذا كان هذا هو التسامح اذن ما هي معاني التعصب الأعمى ؟ ؟

تحية على (غلادستون) وثناء على الحروب الصليبية يا ممثل الدولة (الانكليزية) ! ! ان الاركان التي اعتمدتم عليها لا تقوم عليها بيوت العناكب ، فكيف تشيدون على أساسها الواهي دولة لا تدول وحكومة لا تزول ؟ ؟

لقد أوجبت اركانكم هذه ان يصافح العراقيون ، مدافعكم ويعانقون بنادقكم ويستعرضوا الكتائب من جيشكم حتى يكتب الله انهدامها ويقم على انقاضها (دولة عربية) قانونها القرآن ، وشعارها محبة الانسان ! !

يا ممثل الدولة الانكليزية ، غريب منك وأنت جالس على كرسى الحكم الموقت عجيب منك وأنت ضيف ثقيل على البلاد ان تصف في كتابك شوكة لحكومة البريطانية وثروتها بقولك « ومن قبل ان تقع الحرب العظمى كان للدولة الانكليزية التي شعارها المسالمة جيش صغير للدفاع عن نفسها فلما شرع الالمان والاتراك من تلقاء أنفسهم ... الخ » .

فيا حضرة الحاكم ... انا في غنى عن الاسهاب في بيان قوة الحكومة فأنا نعرف ذلك كما تعرفه أنت ، نحن لا ننكر عظيم قوتها فأنها ام العدد والعدد ، الذي الفته لقتال اعدائها ، وهي أم النقود التي تدلى بها من بحر بعيد العمق ، ولكن العراقيين يا أيها الحاكم ، قد تكاتفوا وتكافلوا وتعاضدوا وتساندوا وقاموا للدفاع عن حياتهم وتطهير بلادهم لا يبالون بعددكم ولا يكترثون بعددكم تكاتفت نياتهم وتوحدت غاياتهم ، لا

يتزايلون عن موقف ربضوا فيه كالاسود ، وثبتوا عليه كالجبال ، والوصول الى الغاية واخذ الاستقلال ! ! .. فأما للحياة واما للموت ، فللموت سعادة في هذا السبيل وحياة في الدفاع عن الحق ! !

يا حضرة الحاكم العام ، لقد حشدت حكومتك الجيش الجرار تحارب عن الحرية ودافع عن المدنية وأنت تريد محو الامة واتلاف البلاد ... تهدد بالفتح والاستعمار وتهدد بحشد جديد لاكراه العراقيين أم لتصديق « جئنا محررين لا فاتحين ؟ » ثناء على حريتك وسياستك !!

اما قولك « فأهل العراق قبلوا الدولة الانكليزية وكانوا مسرورين من بقاء جيوشها في هذه البلاد لما غلبت الاتراك » فأنه فرية على أهل العراق ، متى قبلوا بدولتكم وأصبحوا مسرورين من بقاء جيشكم ؟ ؟

هذه وثائق الانتخاب أدلة واضحة على استيائهم منكم ، ورفضهم بقاءكم ، رجالهم واطفالهم كبارهم وصغارهم كلهم سواء لا يقبلون بكم ، ولا يميلون اليكم ، وأنت تعرف حتى من الاحاد الذين اصطنعتهم .. لخدمتك واستعملتهم لأغراضك .

فيا حضرة الحاكم العام ... كيف تفتري على أهل العراق ؟

ألم تطلع نفسك على رغباتهم ؟ ألم تقف على تصريحاتهم ؟ ؟

أذكر موقفك في النجف اذ جئت تعمل لتبديل الوثائق الموقعة من السادات والعلماء والأشراف ... والرؤساء وسائر الطبقات . ألم يطلبوا فيها جلاءكم عن العراق ليؤلفوا حكومة عربية لا دخل لأجنبي فيها ؟ ؟

أذكر طوافك في الانحاء وبماذا قابلك الاعيان والزعماء ؟ ؟

طالع يا حضرة الحاكم العام .. صحائف فشلك في العراق فهل رأيت قبولا من الامة أو ميلا صادقا اليكم ؟

ألم تجابهك بالرد ؟ ألم تقابلك بالتصريح ؟ فمن أي القلوب تحققت القبول ؟ وفي أي الوجوه طالعت السرور ؟ تخرص وتلفيق الى هذا الحد ؟ أهذه هي المدنية ؟ ؟

واما قولك ـ ولكن لما راى بعض المفسدين والمغرضين ، فنقول مجرد عن الصدق بعيد عن الحق بين التحامل واضح العداء ! • نسألك يا حضرة الحاكم العام •• بصلاحك المعروف واصلاحك المشهور ، نسألك بحق الاستعمار والاستعباد بحق الظلم والاستبداد ، نسألك من هم المفسدون ؟

نعم هم زعماء النهضة هم طلاب الاستقلال هم رؤساء الدين هم ائمة المسلمين •

عجيب يا أيها الحاكم تحاملك الشديد على العلماء وقادة الرأي العام زعمت انهم مفسدون وبرهانك مطالبتهم بحقوقهم ودفاعهم عن حياتهم •

أجوز لك القانون ان تسمى المدافعين ، عصاة ، والعلماء مفسدين والائمة مضللين •• ؟ ؟ أهذه هي الاخلاق الانكليزية ؟

سلام على علمك الواسع الغزير ! ! اما الحالة التي عبرت بأنها توجب الاسف فأنها من نتائج تهوسكم وتجاوزكم من قلة تدبيركم ! • فلو كنتم بالعهود وفيتم وعملتم طبق العهود فحققتم رغائب الشعب المظلوم لحفظتم مكانتكم وثبتم في القلوب صداقتكم • ولكنك يا حضرة الحاكم ، أنت دفعت الامة الى القتال أنت اسلمتها الى هذه الحال أنت اتعبت جيشك بلا جدوى فأنت المسؤول عن هذه الوقائع ! !

فيا حضرة الحاكم العام •• ان المجلس العرفي الذي أمر جنابك بتأليفه لأعدام الوطنيين ونفي الشبان المخلصين وسجن الابرياء والمظلومين جدير بأعضائه العسكر ان يحاكموك ومن أولى منك بالمحاكمة ، اذا كان للمجرمين ، واذا أعد للمذنبين ؟ ؟

يا ايها الحاكم العام •• لقد قامت قيامتكم على القيصر غليوم فأوجبتم محاكمته ، لأنكم نسبتم اليه جناية الحرب فهو مجرم عندكم لأنه مثير النوائر بزعمكم ••• فأن كانت شرائع الدول توجب قصاص المجرمين فأنت أولى بأن تقاصص وتعاقب لانك اكبر مجرم على الانسانية اكبر مجرم على الحكومة البريطانية ! !

يا ممثل الدولة الانكليزية .. ان اعترافك بقوة الامة العراقية يناقض استدراكك العليل بقولك (ولكن عددهم قليل وليس لهم من الدراهم الا القليل) فيا أيها الحاكم العام ، ان الامة قد اعتمدت في دفاعها على ثلاثة أركان هي (القومية والوطنية والشريعة الاسلامية) فعندها الثبات ازاء اختراع الآلات والعناية الالهية بدل المساعدة الخارجية والقناعة عوض الزراعة ، فالامة صابرة على النزال حتى تنزلوا على حكم الحق مستمرة على النضال حتى تسترد الحاكمية ! !

اما قولك (ها قد بذل العرب حتى الآن كل ما في وسعهم من الجهد ولا يمكنهم ان يأتوا بعمل فوق ما عملوا فيا حضرة الحاكم ان العرب لم يبذلوا الى الآن عشر ما اعدوه ، ولم يعملوا بعض ما يريدون ان يعملوه فقوتهم في زيادة واعمالهم الى نشاط وها قد جاء الخريف وانتهى موسم الحصاد وفرغ العرب من المشاغل الزراعية واقبلوا على الحرب الدفاعية بشوق عجيب وميل قوي فأزدادت جموعهم اضعاف ما كانت .. أما تهديدك بوصول العساكر ، فالأمة على علم من قوتكم ومعداتكم واستعدادكم للقتل والفتك وليس بها حاجة الى ارسال معتمد يكشف لها ما هيأتموه من الوسائل الحربية ...

الله يا حضرة الحاكم . . . ما هذه المضمرات العدائية ؟ بهذا تستجلب نفوس العراقيين ؟ ما ابعدك عن الحكمة والصواب كأن الوسائل الحربية ، وسائل للقضاء على الاستقلال والحرية ، أتطلب معتمدا لهذه الغاية ؟ للاطلاع على الفظائع العسكرية ؟ فأين الانسانية ؟ واما قولك « فبناء عليه ان النتيجة النهائية هي معلومة فلم يدوم سفك الدماء » ؟

انا نسألك ما هي النتيجة المعلومة ؟ من جوز الحكم من المجهولات ؟ هل تيقنت انها في جانبكم بأعتمادكم على القوات العسكرية التي طوحتم بها ومزقتم اوصالها ؟

انا لا نريد اطالة سفك الدماء ولكنك تريد ان تضع حداً لاتهامك وايهامك ، فأن الامة قد كشفت نياتك السود ووقفت على حقيقة احوالك !

ثم ما اغرب قولك « ان الحكومة الانكليزية عملا بقواعدها ستجازي بعض الشيوخ وغيرهم الذين ضللوا بالناس واسماؤهم معلومة عندي » .

الله أيها الحاكم العام ، كيف نسيت قولك في صدر الكتاب « ان الحكومة الانكليزية قد اعتمدت دائما على الاركان .. الثلاثة .. » ؟

أكن من الاركان الثلاثة انها ستنتقم من المشايخ الذين احرقت بيوتهم ونهبت اموالهم وذبحت اطفالهم لأنهم طالبوك بالاستقلال ؟

ليسمع المشايخ نصيحتك هذه ليقفوا على حقيقة اخلاصك وماذا تعدلهم ؟

ايها الحاكم العادل ... هل وراء ما يشهدونه كل يوم من ضروب الظلم وأنواع الاعتساف ؟ هل وراء التعذيب والانتقام شيء آخر من العذاب ؟ ليطمئن بال (المشايخ وغيرهم) فهذا عفوك وهذه رحمتك أما طلب المفاوضة وتعينك لها (حضرة الكولونيل هاول) فأن ذلك يعود الى رأي المشايخ واقطاب الامة الذين قلت ان الحكومة الانكليزية ستجازيهم عملا بقواعدها .

فيا أيها الحاكم ان الامة عملا بقواعدها الانسانية واعتمادها على أصول المدنية لا تمتنع عن المفاوضات الدولية ولكنها لا تدخل في المفاوضة معكم الا على الشروط الآتية :ـ

١ ـ سحب الجيش من البلاد .

٢ ـ ارجاع المنفيين .

٣ ـ حضور قناصل الدول في مجلس المفاوضة .

وخلاصة القول ان الامة لا تريد الا الاستقلال التام للعراق بحدوده المعروفة وهي لا تدخل في المفاوضة الا على تلك الشروط(١) .

---

(١) الصحافة في العراق . المصدر السابق .

وهكذا وبمثل هذه الروح الوطنية المتأججة شجاعة وحماسة راح هذا الصحافي الثائر يكيل الصاع صاعين الى ممثل الدولة البريطانية ـ السير ارنولد ولسن ـ غير هياب ولا خائف من ذلك التهديد والوعيد وهل لمثله من المؤمنين بحق امتهم بالحياة حياة حرة كريمة ان يخاف ويجبن ؟

حاشا لله ، فأن الشيخ محمد باقر لم يجبن ولم تخر قواه ، بل ظل حتى آخر لحظة من حياته منافحا عن الحق مؤمنا ، بأن الحق يعلو ولا يعلى عليه ! !

هذا هو (الصحافي الثائر) الذي كان اكثر الناس ايماناً برسالة الصحافة وأثرها في خدمة المجتمع ، ولا عجب في ذاك فهو الذي كان قد ثمن في الصحف هذه الرسالة اذ قال :

صوت الشعوب وصيتها الصحف
تجرى بهم للمجد ان وقفوا
ماذا أقول وكيف أذكرها
وبأي وصف مثلها أصف
ان قلت داعية العلا فلها
ولأهلها العلياء والشرف
الناطقات ونطقها حكم
والحاكمات وحكمها النصف
والعادلات فلا يلم بها
كلا ولا برحالها الجنف
والمنزلات على الألى ظلموا
رجزا بما ظلموا وما اعتسفوا

الوطني الجريء

ثم اخذ لهيب هذه الثورة الكبرى يخفت شيئا فشيئا لعوامل عدة وأخذت حدة القتال تخف لا سيما بعد ان اذاع (السير برسس كوكس) يوم ٢٦-١٠-١٩٢٠ بلاغه الذي قال فيه ان « الحكومة البريطانية انتدبته لبعود الى العراق لتنفيذ مقاصدها الثابتة بمساعدة رؤساء الامة وتشكيل حكومة وطنية في العراق .

وقد يصعب تنفيذ منويات الحكومة البريطانية ما دامت بعض أقسام العشائر والطوائف في العراق تعادي الحكومة . . الخ » .

ولما اذاع المندوب السامي البريطاني فيما بعد ، قراره بأعلان العفو العام عن الثوار ومساعديهم بتاريخ ٣٠ آذار ١٩٢١ وأوقف القتال نهائيا في جميع مناطق الثورة[١] .

ترك الشيخ محمد باقر الشبيبي مدينة النجف الاشرف والألم يعصر قلبه قاصداً مدينة الشطرة ليبتعد عما ستنصب له ولأمثاله الاحرار من المكائد وليقوم بما يحتمه عليه الواجب الوطني من جديد بالعمل على افساد

---

(١) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ـ المصدر السابق .

الخطط البريطانية •• التي تريد تطبيقها في العراق لا سيما بعدما فرضت عصبة الامم الانتداب البريطاني عليه حسبما نصت عليه المادة (١٣٢) من معاهدة الصلح الموقع عليها في (سيفر) في اليوم العاشر من شهر آب ١٩٢٠ وبعد (البيان) الذي اذاعه المندوب السامي البريطاني يوم ٨-١١-١٩٢٠ الذي قال فيه بأنه •

« ••• يرغب في ان يطلع جميع الاهالي على قدر الامكان على الاجراءات التي يتخذها لتنفيذ مقاصد حكومة جلالة ملك بريطانيا •

اما هذه المقاصد فهي الاسراع في تمهيدالطرق التي يتوصل الشعب العراقي الى ابداء رأيه في شكل الحكومة التي يرغب فيها ، ثم تعجيل تأسيس هذه الحكومة بأرشاد حكومة بريطانيا العظمى ونظارتها •• أما الوضعية فهي ان اختيار شكل الحكومة أمر يجب ان يبت به العراقيون أنفسهم •• ولا يمكن اصدار مثل هذا القرار بدون مؤتمر عام يمثل الشعب تمام التمثيل(١) •• الخ » •

نعم غادر الشيخ محمد باقر الشبيبي عاصمة الثورة قاصدا الشطرة في هذا الوقت الذي ازدادت فيه فعالية الحكام السياسيين وبدت في بعض المناطق الدسائس والاهداف المبيتة لتمزيق شمل العراق ، فسمع وهو هناك بالاصوات الناشزة التي ارتفعت في البصرة تطالب بالحاق مدينتهم بحكومة الهند ، ووقف على اخبار العرائض التي كانت توقع من قبل بعض الرؤساء في المنتفق لالحاق منطقتهم بحكومة (عدن) وما الى ذلك من المحاولات فما كان منه ومن غيره من احرار المنتفق وقادة الرأي فيها الا العمل على افساد تلك الخطط وقبرها في مهدها(٢) وهكذا وبعد ان

---

(١) المصدر السابق

(٢) استندت في اثبات هذه المعلومات على ما تفضل به صديقه (الحاج حسين الشعرباف) احد وجهاء (الشطرة) المشارك بنفسه معه في افساد تلك الخطط .

استطاع مع اخوانه اثارة الرأي العام في تلك المنطقة العشائرية الهامة سافر الى بغداد لا سيما بعد ان تم الاتفاق على ترشيح الامير فيصل بن الحسين ملكا على العراق •

الشبيبي والامير فيصل !!

وما ان وصل الامير فيصل بن الحسين ، بغداد في يوم ٢٩-٦-١٩٢١ حتى راحت الهيئات الوطنية المختلفة تحتفي بقدومه وتقيم له حفلات التكريم والترحيب وفي يوم ٨-٧-١٩٢١ اقامت له (المدرسة الجعفرية الاهلية) حفلة تكريمية كبرى تكلم فيها عدد من الزعماء وقادة الرأي وكان من بين هؤلاء الشيخ محمد باقر الشبيبي ، فقد القى في تلك الحفلة خطابا هاماً ضمنه آمال الشعب العراقي وامانيه وما يريده في ظل العهد الجديد • وقد قالت عنه (جريدة العراق) التي وصفت هذه الحفلة بعددها الصادر يوم ٩-٧-١٩٢١ •

« ثم قام خطيبا حضرة الشاعر الوطني البليغ الشيخ محمد باقر الشبيبي والقى خطبة مبتكرة جمعت فأوعت تجسمت البلاغة في معانيها وتجلت الفصاحة النجفية من خلال حروفها وقد استحسنها الحضور وصفقوا للخطيب وهتفوا له على شدة اعجابهم بها •• الخ » •

ونظرا لأهمية ما جاء في هذا الخطاب التاريخي وللجرأة التي تميز بها لا سيما وهو الشاعر الثائر المعروف فها نحن أولاء نثبت نصه في أدناه خدمة للتاريخ والحق •

كلمة الاستاذ الشبيبي في المدرسة الجعفرية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا صاحب السمو ••

ما اسعد العراق اذا عاش بين جوانحك واضلاعك ••

اذا ثبت في موضع اسرارك ، اذا نتج من مجموعة اخلاقك وافكارك

اذا نشأ بين ضميرك وتدبيرك •••

ما اسعد العراق اذا عاش في ظلك الوارف اذا خفق عليه لواؤك الخفاق ، اذا عاد مقر حكمك ومصدر نهيك وأمرك ••

يا صاحب السمو ••

ان الذين وضعوا ثقتهم بشخصك وعلقوا آمالهم عليك يعدونك للعرش والتاج يؤهلونك للملوكية ، واضعين اموالهم في حجرك ورقابهم بين يديك يرفعونك الى مستوى ذوي التيجان فأرفع مستواهم يا صاحب التاج الى صف الاحياء ، ومكنهم من مباراة الاقوياء وحقق رجاءهم فيك •

يا سمو الامير الكبير ••

ستعلم ان الشعب الذي يمد يده لمبايعتك ويصافحك للاعتراف بملوكيتك شعب يستبسل دون مقامك وسلطانك يستبسل دون تاجك وصولجانك •• فهيء لمن هذا شأنه اسباب نجاحه ومعدات ارتقائه ••

يا صاحب السمو ••

لقد تقدم شعبك خطى مقتفيا أثر خطواتك الواسعة ، ليأخذ حقه الشرعي من الحرية وحظه من الاستقلال •• تقدم خطى مدفوعاً بنفس العوامل التي دفعت سموك لتكوين دول عربية شعارها العدل والحنان لأيجاد عروش مدنية مبدؤها محبة الانسان ، تقيمها حواجز لدرء المخاوف ورد الاخطار حواجز لبناء النظام التام ، لحفظ التوازن والسلم العام ! !

يا صاحب السمو ••

أنظر الى امتك العزيزة ، فأنها تنظر اليك ابا فوق الآباء ومربيا فوق المربين •

أنظر الى امتك وحفها بسياج من عدلك وحكمتك وافتح لها صدرك ومداليها ذراعيك وخذ بيدها الى الرقي ، وجدد شبابها وهبها دستورا صحيحا •

وحرية تنهض بنا الى المعارف وبث العلوم في الضعف الادبي ، وما الانحطاط العقلي الا من فساد الحكم ومن نتائج الاستبداد ! !

يا صاحب السمو ..

أنظر الى شعبك نظرة رؤوف به ، رحيم عليه فقد نخر عظامه الجهل وامتص دمه الخلاف تعهد شعبك قبل ان تنفل صفوفه وتندك قواعده ، وادعمه بنشاطك واسنده بهمتك حتى تستند عليه . تدارك شعبك بالوحدة قبل ان يمزقه النزاع ، قبل ان تأكله الاطماع ! !

تداركه بتدبيرك .. وتعهده بتجربتك فمن اولى منك بالاشراف وقد اختصك للعرش واختارك للحكم ! !

* * *

وهكذا وبهذه الروح الجياشة بالآمال الوطنية والاهداف العامة وقف هذا الوطني الجريء يخاطب الامير الذي سيصبح بعد أيام ملكا على العراق ، وكأنه يرسم له طريق العمل الصالح والخدمة الصادقة ويترجم له عن آراء هذا الشعب الذي اختاره ملكا ..

حتى اذا نهض الامير يعلق على ما جاء في خطب الخطباء ، كان للشيخ محمد باقر الشبيبي النصيب الاوفي في كلامه حيث قال :

« كما ان اخانا محمد باقر الشبيبي ، قال في كلمته يستنهض بها همتي » ..

أقول والله والله ما قمت بحركة مؤملا غاية دنيوية أو راجيا شيئا ماديا . . ولا عملت طلبا لفخر أو مقام أو مركز . . كلا(١) .

---

(١) فيصل بن الحسين في خطبه واقواله ـ الدعاية العامة ١٩٤٥

في ميدان النضال من جديد

ولما توج الامير فيصل ملكا على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١ كان قد ألقى خطابا في ساعة تتويجه ورد فيه :

الا وان أول عمل اقوم به هو مباشرة الانتخابات وجمع المجلس التأسيسي ولتعلم الامة ان مجلسها هذا هو الذي سيضع بمشاورتي ، دستور استقلالها على قواعد الحكومات السياسية الديمقراطية ويعين أسس حياتها الاجتماعية ويصادق نهائياً على المعاهدة التي سأودعها له فيما يتعلق بالصلات بين حكومتنا والحكومة البريطانية العظمى ... الخ[١] .

ثم لم تكد تؤلف أول وزارة في ظل النظام الملكي الجديد في يوم ١٠-٩-١٩٢١ حتى تقدمت الحكومة البريطانية اليها تريد منها تنفيذ (صك الانتداب) القاضي بجعل العراق تحت ظل الانتداب البريطاني فجوبهت الحكومة بعاصفة من السخط والاحتجاج الشديد على الرغم من ان الثورة العراقية كانت قد أصبحت في خبر كان ، ومع هذا فقد اجمعت كلمة الشعب على الوقوف ضد الانتداب أو ضد أي شكل من الاشكال التي يتقمصها كالمعاهدات والاتفاقيات لأن الامة لم ترض بهذا النظام الا على أساس .. الاستقلال التام .

---

(١) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ـ المصدر السابق .

في مثل هذا الوقت المتأزم وفي مثل هذه المرحلة التي سيتقرر بهـ وضع العراق السياسى ومستقبله أين سيكون مقام الشيخ محمد باقر الشبيبي ؟ هل سيبقى في بغداد أم النجف أم أين ؟

كلا لم يبق هنا أو هناك بل سارع بالذهاب الى لواء المنتفق ليؤدي واجبه الوطني هناك ويعمل يدا بيد مع احرار تلك الديار في احباط خطط مشاور اللواء الانكليزي (الميجر ييتس) ومحاولاته لأظهار هذا اللواء العربي بمظهر المالىء للسياسة الانكليزية لا سيما عندما قام بتنظيم عرائض تدعو الى طلب الانتداب البريطاني على العراق وراح يحمل الناس كرهاً على توقيعها .

لقد نجح الشيخ محمد باقر الشبيبي واخوانه في النضال في ذلك اللواء ، نجح في عقد مؤتمرات عشائرية كبرى في كل من (المصيفى) و (الدواية) و (الدجة) حضرها رؤساء عشائر آل حميد وبني زيد وبني سعيد وغيرهم ، واجمعت كلمتهم على رفض الانتداب واتخاذ قرارات على جانب عظيم من الاهمية وهي(١) :ـ

١ ـ وحدة العراق واتفاق كلمته ضد الانتداب بأي صورة كانت .

٢ ـ الاحتجاج على كل عمل يؤدي الى تفريق كلمة الامة .

٣ ـ المطالبة بأصلاح الحالة في لواء المنتفق وتعيين حكام عرب نزيهين اكفاء .

٤ ـ الاحتجاج على تصريحات المستر تشرشل في مجلس العموم البريطاني(٢) .

---

(١) من حيث نشر للشيخ محمد باقر الشبيبي والسيد عبدالمهدي السيد حسن في جريدةالمفيدالبغدادية بعددها الصادر يو٢٤ـ٦ـ١٩٢٢

(١) لما سئل تشرشل عن صحة رفض الملك فيصل وحكومته للانتداب اجاب ان ذلك غير صحيح وأضاف بان المفاوضات بين الطرفين جارية للوصول الى ابرام معاهدة على أساس التحالف .

وبناء على هذا النشاط السياسي الملحوظ الذي أسفر عن افساد جميع خطط المشاور البريطاني وتدابيره ، وتوحيد كلمة ابناء اللواء للوقوف ضد الانتداب ، لم يجد (الميجر ييتس) بدا من اعتقال الشيخ محمد باقر وزميله في النضال السيد عبدالمهدي السيد حسن كما اعتقل غيرهما من الزعماء امثال الشيخ حسن الرميض رئيس بني مالك وفرهود المفشفش رئيس بني خيكان وغيرهما من الرؤساء .

وقد أخذ الشيخ محمد باقر الشبيبي الى الناصرية مخفورا ومن تلك المدينة التي ساءها هذا التنكيل بالاحرار والمخلصين من الرجال أرسل الشيخ الشبيبي برقية الى جريدة المفيد البغدادية(١) نشرتها في عددها الصادر يوم ١٧-٦-١٩٢٢ وهذا نصها :

بغداد ـ جريدة المفيد

ـ اليوم اخذت مخفورا الى الناصرية من قبل مشاور المنتفك

باقر الشبيبي

وقد علقت الجريدة على ما جاء في هذه البرقية تقول :

المفيد ـ اننا نأسف كل الاسف لوقوع هذه الحادثة التي سيق فيها اديب كبير معروف بالاخلاص لوطنه وبلاده مخفورا كما يساق المجرمون.

ونتمنى من وزارة الداخلية الجليلة ان تفرج عن هذا الفاضل الذي يتألم لحادثته كل من عرف اخلاص الشبيبي ومنزلته ومنزلة اسرته الكريمة في قلوب العراقيين .

ولم تكد الجريدة تنشر هذا الخبر حتى أهتم الرأي العام أشد الاهتمام فاضطرت وزارة الداخلية الى اصدار أمرها الى مشاور اللواء بضرورة اطلاق سراحه في الحال في اليوم الثاني .

وفي يوم ٢٣-٦-١٩٢٢ وصل الأستاذ الشبيبي والسيد عبدالمهدي الى العاصمة فأستقبلا بالمحطة استقبالا يليق بالمناضلين الاحرار .

---

(١) لصاحبها الاستاذ ابراهيم حلمي العمر

وفي هذه المرحلة العصيبة من مراحل الكفاح الوطني نستمع الى هذا السياسى الثائر وهو ينشد قصيدة يخاطب بها (حمامة الدوح) فاذا هو يعبر عما يختلج في صدره من حسرة وألم ويقول :

حمامة هذا الدوح بالله رجعي ... فقد سكنت نفسى اليك ومسمعي

الى ان يقول :

تطلعت من كوات كوخي مشرفا ... على الناس ارعاهم بعين تطلعي
فما وقعت عيني على متشرع ... بلى وقعت نفسى على متسرع
لدى من الدنيا عظات تريبني ... وتزهدني في صحبة المتورع
فانكرت سلسال الفرات فهل جرى ... بسم كما شاءت يد الدهر منقع ؟؟
وأصبحت في اوطان قومي مروعا ... كأني في غاب من الارض مسبع
واضحى ذراعي لا يقاوم اصبعا ... وكم منذراع كان من دون أصبعى
ولو كان في امكان نفسي نزوعها ... لزايلت قومي في العراق وموضعى .

في قفص الزوجية

وبعد هذه الحياة المكدودة المليئة بجلائل الاعمال وبعد تلك السنين الطوال التي قضاها في سوح الكفاح والنضال قدر له ان يطلق حياة العزوبة على الرغم مما ابداه من رأي منذ سنوات مضت حين قال في قصيدته (العزوبة والزواج) .

ان شئت ان ترد المنون فعرج ... ودع العزوبة جانبا وتزوج

على الرغم من رأيه هذا في الحياة الزوجية فقد تم عقد قرانه في النجف الاشرف عام ١٩٢٣ حتى اذا اجريت الانتخابات لأول مرة في العراق عام ١٩٢٥ وانتخب عضوا في المجلس التأسيسي عن لواء المنتفك ، أضطر الى اتخاذ بغداد ، دارا لسكناه تاركا مدينة النجف وماله فيها من احلام وذكريات .

وهكذا وفي هذا الجو الهادىء السعيد ، راح يستشعر حياة الراحة

والدعة والهدوء والاستقرار ويحاول ان يعطي لنفسه حقها لا سيما بعدما تراءى له ولغيره من السياسيين ان العراق الجديد لابد له ان ينال حقوقه في الحرية والاستقلال فهذا هو (المجلس التأسيسي) راح يضع دستورا دائما للبلاد فليعط لنفسه راحة ، وليغير مجرى حياته الفكرية وليطرق ابوابا جديدة من الشعر فلا عجب ان نقرأ له في هذه المرحلة من حياته قصيدة بعنوان (هي النفس) يقول فيها :

هي النفس هذبها بما تستطيعه فليس سواها بين جنبيك من نفس
وصبح بها الاخلاق فهي غنائم فأنك لا تدري اتصبح أم تمسي
وجدد من الذكر الجميل مراسما لنفسك واترك دائر الشرف المنسي

ويلتفت الى بعض جوانب الحياة الجديدة لا سيما التطور الذي حدث في حقول التربية والتعليم ثم يتذكر حياته الدراسية التي قضاها في النجف الأشرف ويقارن بين ما كان يلقاه هو وغيره من ابناء العراق وبين ما يتلقاه ابناء الغرب من العلوم والمعارف فيأسف لبعد الشقة بين الحالين فيقول في قصيدته (المدارس) :

عقمت ان تجيئنا بنتاج حجرات تجيد درس الاحاجي
شرب الغرب ماءهن نميرا وشربنا من ماء ملح اجاج

ثم يصف حالته في مدارس النجف اذ يقول :

كل يوم امسي وأصبح فيها يصدع القلب كانصداع الزجاج
حال ما بيننا الزمان كأن قد سدما بيننا رتاجة ساج
ما رأينا للعلم قبضة كف بسطت فيهما بساط ابتهاج

الى ان يقول :

ازمات الحروب قد اثقلتنا فعساها تجيئنا بأنفراج

* * *

وقد أثمر هذا الزواج (الذي احس الشيخ خلاله بمعنى الحب والعطف والابوة) ولدا هو ابنه الوحيد (صادق) وثلاث بنات كريمات ، لم يخلف غيرهم الى ان اختاره الله الى جواره .

البرلماني الصريح

لقد انتخب الشيخ محمد باقر الشبيبي ، عضوا في المجلس النيابي الذي اقيم في العهد الملكي ممثلا للواء المنتفك في أربع دورات انتخابية هي الدورة الاولى التي انتهت يوم ٢٨-١-١٩٢٨ والدورة السادسة التي بدأت يوم ٣٠-١٠-١٩٣٥ وانتهت يوم ٢٩-١٠-١٩٣٦ والدورة السابعة التي بدأت يوم ٢٧-٢-١٩٣٧ وانتهت يوم ٢٦-٨-١٩٣٧ والدورة الثامنة التي بدأت يوم ٢٣-١٢-١٩٣٧ وانتهت في يوم ٢٢-٢-١٩٣٩ •

وبذلك تكون المدة التي قضاها عضوا في المجلس النيابي في ذلك العهد (خمس سنوات وشهرين واثنى عشر يوما) وقد برزت معالم شخصيته البرلمانية بجلاء خلال هذه الدورات وأخذ نجمه يتألق في افق السياسة العراقية ، وبات في مقدمة النواب الذين وقفوا موقف المعارض الصعب والبرلماني الصريح الذي لا يخشى في الحق لومة لائم •

وقد سجل له تاريخ العراق السياسي الحديث ، صفحات بيضاء انعكست فيها مواقفه الجريئة في مختلف المناسبات ولما كانت تلك المواقف كثيرة فقد رأينا اعطاء القارىء نماذج منها على سبيل المثال للوقوف على

صراحة هذا الرجل وجرأته في الحق وشجاعته وغيرته على المصلحة العامة وحقوق البلاد .

غياب الملك والدستور

عندما قامت الحكومة العراقية في أواخر عام ١٩٢٧ بمحاولة لعقد معاهدة جديدة مع بريطانيا ، كان الملك فيصل الاول قد غادر العراق الى أوربا في اليوم السادس من شهر آب من تلك السنة .

وقد شاء ان يظل خارج البلاد مدة جاوزت الاربعة أشهر التي تنص عليها المادة (٢٣) المعدلة من القانون الاساسي العراقي ، وحيث ان بقاءه خارج العراق لتلك المدة الزائدة عن الاشهر الاربعة مخالفة دستورية .

فقد قررت الحكومة القائمة جمع المجلس في اجتماع غير اعتيادي في يوم ٧-١٢-١٩٢٧ للنظر في أمر غياب الملك عن البلاد ، وكانت الحكومة قد اعدت قرارا تبرر فيه هذا الغياب قائلة :ـ

« بعد الاطلاع على الانباء الاخيرة الواردة من لندن المتعلقة بدوام المفاوضات وعدم امكان عودة جلالة الملك خلال المدة المعينة في القانون الاساسي وهي أربعة أشهر ونظرا الى ان بقاء جلالة الملك هناك أضمن للمصلحة العامة ، قرر مجلس الوزراء عملا بأحكام المادة (٢٣) من القانون الاساسي دعوة مجلس الامة الى الالتئام في يوم ٧ كانون الاول للنظر في غياب جلالة الملك ايده الله .

وفي اليوم المحدد اجتمع المجلس والقى السيد رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزراء بالوكالة بياناً مسهبا عن قضية غياب الملك ومما جاء فيهقوله:

« فالحكومة زودت رئيس الوزراء بتاريخ ٤-٦ أيلول ١٩٢٧ بالسلطة التامة للقيام بهذه المهمة (أي مهمة تعديل الاتفاقيتين المالية والعسكرية) والتمست من جلالة الملك ان يشرف على المفاوضات من محل قريب لتسهيل سيرها ، وبعد ان تبودلت الآراء في خطط التعديل مست الحاجة

لاعطاء فرصة كافية للدوائر البريطانية المسؤولة لأحضار المواد والتقارير المطلوبة في هذا الشأن .. ولهذه الاسباب لم يتمكن صاحب الجلالة من الحضور الى البلاد في المدة المعينة في هذا القانون الاساسي في (٧ كانون الاول) لهذا دعى مجلسكم الموقر للنظر في أمر غياب جلالة الملك » .

ولما كانت القضية التي عقدت من أجلها الجلسة تختص بغياب الملك فقد أوشكت ان تمر دون اعتراض لولا ان النائب الجرىء الشيخ محمد باقر الشبيبي طلب الكلام ليعلق على بيانات وكيل رئيس الوزراء وراح يقول بما عرف عنه صراحة .

« يجب ان تعلم الحكومة بأن المجلس لم يستحسن ابدا سياسة اشراك صاحب الجلالة في أمور ليس للملك الدستوري ان يشترك فيها ، ووزارة هذه فعلتها وهذا شأنها مع الامة ومجلسها ليس لها الا الانصراف عن الحكم » .

واضطر وكيل رئيس الوزراء أمام هذا الاحراج الدستوري الا ان يقف ثانية لايجاد مبررات جديدة ويقول :

ان جلالة الملك غير مسؤول أمر صحيح .. وجلالته لم يسافر لأجل الاشتراك بالمفاوضات بل سافر للاشراف على سيرها وعندما نقول ان الملك غير مسؤول ليس معناه ان الملك لا يجب ان يخدم أمته .

وهكذا انتهى المجلس بالموافقة على اقتراح الحكومة معلنا عن شكره لجلالته على اشرافه على هذه المفاوضات(١) .

اما ذلك النائب الجرىء فلم يكتف بما قاله تحت قبة البرلمان بل راح يثير القضية على صفحات الصحف فقد نشر مقالا في عدد جريدة النهضة العراقية الصادر يوم ١٩-٨-١٩٢٧ (حول غياب الملك) قال فيه :

---

(١) تاريخ الوزارات العراقية ج٢ عبدالرزاق الحسني - صيدا ١٩٥٣

« لا جرم ان الاشراف على المفاوضات يستوجب مطالعة صفحاتها وتقليب وجوهها واطرافها وتنوير افكار المتفاوضين في كثير من مسائلها .

واذا تم الامر بين الطرفين ولم يعترض المشارف فمعنى ذلك قبوله بالقرار وتسليمه بالنتيجة . . واذا خالف ومانع فقد أخذ على عاتقه مسؤولية المفاوضات أو توقيفها ، فكيف يجوز للحكومة العراقية ان تشرك جلالته في هذه المسؤولية ؟ وهو ملك دستوري ؟ غير مسؤول ؟

واذا وافق ولم يعترض ثم عرضت المعاهدة على مجلس الأمة فماذا يكون موقف المجلس تجاه السدة الملكية التي اعربت عن موافقتها ؟

وماذا نفعل بالقانون الاساسي وقد صرح بمنع ذلك الا بموافقة المجلس؟

واذا قاست الحكومة موقف جلالته هذا بموافقه أمس في المجلس التأسيسي اثناء تصديق المعاهدة فهذا القياس مع الفارق وهذا خطأ ظاهر فالموقف الاول كان قبل نشر الدستور ، اما وقد نشر الدستور واديت يمين المحافظة عليه فقد تبدل الموقف فهل ينتبهون ؟ ؟ ..

* * *

ان هذا الموقف الجريء يعبر عن حقيقة هذا السياسي وتمسكه بالحق وبعده عن التزلف والنفاق ، وقد كان لهذا الخلق وهذه الصراحة أثر بعيد في اثارة الكثير من المتاعب في حياته السياسية كما سنرى فيما بعد .

ولم يمض شهر على تلك الجلسة الا وصدرت الارادة الملكية بحل المجلس ولما اجريت الانتخابات للمجلس الجديد لم يكن الشيخ محمد باقر الشبيبي من الفائزين ، جزاء وفاقا لذلك الموقف الجريء وغيره من المواقف .

أنوابنـــا ...

ولكنه وان كان قد ابعد عن المجلس فقد ظل يسير على نفس الخطة وعلى ذات النهج السياسي اذ راح في هذه الفترة ينشر القصائد الوطنية

ويكتب المقالات السياسية موجها ومحذرا ومنبها الى ضرورة خدمة مصالح هذه الامة وعدم التفريط بحقوق البلاد .

فقد نشر في جريدة النهضة العراقية وفي عددها الصادر يوم ٣٠-١١-١٩٢٨ قصيدة بعنوان (انوابنا) وقعها بتوقيع (نجفي) وهو أحد تواقيعه المستعارة الكثر حيث قال[١] :

انوابنا قرب البرلمان	فلا تبق اصواتكم هامدة
ولا نفع للشعب في مجلس	عواصف نوابه راكدة
وهذي ستنفض مثل اختها	وتبقى مساعيكم الخالدة

* * *

كأن انتخاباتنا أصبحت	منافعها لكم عائدة
أفي الحق ان يستظام الضعيف	جهرا واعينكم شاهدة ؟ ؟
يذاد عن العدل قسراً كما	تذاد الجياع عن المائدة
فرحنا غداة أتانا الوزير	وروح السرور بنا سائدة
وقلنا سيشملنا عفوه	فعاد وعدنا بلا فائدة

* * *

---

(١) أيد الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي كونها لاخيه محمد باقر

الشبيبي وياسين الهاشمي

وللشيخ محمد باقر الشبيبي مع المرحوم السيد ياسين الهاشمي السياسي العراقي الشهير مواقف معروفة ، بدا في بعضها معه خصما عنيدا وفي البعض الآخر رفيقا في الكفاح حميما .

فقد هاجمه (أيام كان وزيرا للمالية في وزارة المرحوم السيد جعفر العسكري الثانية) على صفحات جريدة النهضة العراقية ، هجوما عنيفا وراح يحلل شخصيته تحليلا طريفا في بابه[1] . ولكنه على ما يبدو قد أسف على ما كتب حتى اذا ما عاد بينهما الصفاء من جديد وراحا يعملان سوية في حزب الآخاء الوطني عام ١٩٣١ وبدأ الشيخ يحبر مقالات جريدة الحزب الافتتاحية التي يهاجم فيها تصرفات حكومة السيد نوري السعيد انتهزت بعض صحف الحكومة فأعادت نشر المقال الذي كان قد هاجم به رفيقه في الكفاح اليوم ياسين الهاشمي ، وفي عددها الصادر يوم ١٥-٩-١٩٣١ نشرت جريدة (الآخاء الوطني) كلمة بعنوان (الاستاذ باقر الشبيبي) قالت فيها .

« راع الخصوم ان ينزل الى ميدان الجهاد القومي الشيخ باقر الشبيبي بكل ما وهب من مزايا ، ومن جرأة وصعوبة مراس ، وراعهم أكثر من ذلك انتصاره للمعارضة فراحوا يبحثون في الدفاتر العتيقة

(١) جريدة النهضة الصادرة يوم ٣١-١٢-١٩٢٨

البالية وتمسكوا بما عثروا عليه من مقالاته ضد الهاشمي لما كان وزيرا للمالية ، وكالوا له تهما يشهد الله والتاريخ انه بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، فالهاشمي نفسه يعلم بأن تلك المقالات انما كتبت عن قصد غير الذي اراد ان يعبر عنه الخصوم ، ويعلم فوق ذلك مبلغ ألم الشبيبي من مخاصمته لشخصه كما يشهد بذلك أعضاء حزب الشعب الذين شاهدوا تألمانه غداة كتابته تلك المقالات . •

وللشبيبي جولات كثيرة في مناوأة القائمين بالامر منها قصيدته البليغة التي القاها في الحفلة التي اقيمت على شرف المستر كراين والتي من اباتها(١) •

المستشار هو الذي شرب الطلا   فعلام يا هذا الوزير تعربد ؟•

مشيرا في اثناء انشاده هذا البيت الى أحد الحاضرين من الوزراء في ذلك الاحتفال ، فلم يحمل اصدقاء الشبيبي أو الذين خاصمهم تلك الجولات على غير محمل الخصومة المألوفة وستبقى عقيدتهم هذه ثابتة الاركان بالرغم من محاولات احفاد السياسة والكتائب • فالشبيبي ناوأ الاستعمار في كل دور من ادوار حياته ونحن نتحداكم أيها الخصوم ، فهاتوا ما عندكم من براهين » •

حتى اذا تآخى الحزبان وقف الشيخ محمد باقر الشبيبي في الاجتماع الكبير الذي عقداه بهذه المناسبة الوطنية وارتجل كلمة بليغة ، أقر فيها بزعامة الهاشمي ولكن بشروط حيث قال :

« اذا كان الهاشمي زعيما سياسيا وقائدا شعبيا فحتم ان نؤمن بأرائه كزعيم (يريد خير الوطن) وان نمشي معه كقائد (يريد تنظيم صفوف الامة) وتأليف وحدة وطنية يسوقها للتضحية والجهاد وانقاذ شرف البلاد ».

ثم تمر الايام ويعتلي ياسين الهاشمي كرسي الرئاسة يوم

---

(١) سننشر القصيدة كاملة في البحث الخاص بها من هذا الكتاب

١٧-٣-١٩٣٥(١) ويحل المجلس ويجرى انتخابات جديدة يكون فيها الشيخ محمد باقر الشبيبي من بين النواب الفائزين عن لواء المنتفك وتستبشر البلاد خيرا بهذا العهد الجديد الا ان ما جرى في معظم ربوع الوطن من احداث واضطرابات وما اتبعت من سياسة في تصريف أمور البلاد قد خيب آمال الكثيرين بالسيد الهاشمي نفسه .

اذ لم تكد تمر على توليه الحكم حتى وقف رفيقه في المعارضة والقلم المعبر عن خطة حزب الآخاء الوطني أيام النضال والكفاح وقف الشيخ محمد باقر الشبيبي تحت قبة المجلس يوم ٤-١-١٩٣٦ يهاجم هذا العهد هجوما لا هوادة فيه حيث قال :

نحن الآن يا سادتي في وضع لا نحسد على مثله ، فأي شيء عندنا يدعو الى الابتهاج ... ؟

اوضعنا السياسى وهو قائم في مهب الريح تعصف به المطامع وتقصف به الاهواء والشهوات .

أم وضعنا الاجتماعي وهو من اسوأ الاوضاع ؟ فأين النقابات وأين الجمعيات المنظمة وأين الاهداف السامية والمثل العليا والخلق القويم ؟ وأين الوحدة ومبادىء العدل ؟

أم وضعنا الاقتصادي وموارد الثروة بيد المحتكرين من الشركات الاجنبية والمرابين أصحاب رؤس الاموال ؟

ثم يقول :

لا يكفي يا سادتي ، ان يعيش رجال الدولة وحدهم وينعموا بخيرات هذه التربة وحدهم وان تسن القوانين لهم وحدهم ، ولا يكفي ان تكون

---

(١) كان اخوه الشيخ محمد رضا الشبيبي وزيرا للمعارف في وزارة الهاشمي الا انه استقال منها بتاريخ ١٥-٩-١٩٣٥ لاختلافه مع رئيسها في كثير من قضايا المعارف العامة وقضايا الموظفين فيها خاصة .

العاصمة قبلة المسؤولين وحدها فالامة ليست عبارة عن رجال الدولة وكبار الموظفين .. والعراق ليس العاصمة وحدها » .

وبعد ان يستطرد في توضيح وبيان حالة البلاد وما احاطت بها من نكبات ومآسي يقول « لقد ضاعت جهود الامة ، وضاعت اتعابها وضاعت مساعيها وما اضاعها الا الذين تعاونوا على تمزيقها ، وتواطؤا على السيطرة عليها وابتزاز اموالها والعبث بمقدساتها .

من هو (أبو الشعب) الذي ينشىء الحياة ويبني ؟ أين هو[1] .؟

أبو الشعب يا سادتي هو الذي يحنو عليه ، ويحمل نهضته ويقوده الى مواطن الجهاد ويحقق امانيه القومية ، فالشعب العراقي لم يجد الى الآن يا سادتي ذلك الوازع الذي يجمع الشمل ويلم الشعث وينسق الرأي العام ، ويقضي على عناصر الدجل والشعوذة .

فالابوة هذه لم تخلق بعد .. قد تخلق في شخص الهاشمي وقد تخلق في شخص آخر من يدري ؟

فالهاشمي كما نعرفه نحن لا يقبل أبوة وهمية ، يدعى بها في حالة وجوده في الحكم وتنتزع منه حين يعتزل المسؤولية .

أبو الشعب هذا هو الذي ندعوه (أبا) في كل الاحوال .. والهاشمي من اولئك الابناء الذين يبحثون عن ذلك (الوازع) وتلك الابوة كما نبحث نحن عنها[2] .

وحين ناقش سياسة الحكومة المالية اثناء عرض قانون ميزانية الدولة قال :

فالقصور المشادة والصروح العالية التي تطوق العاصمة وتنهض قائمة على شوارعها يقابلها في الالوية اكواخ الفلاحين وبيوت العمال الخاوية

---

(١) اطلق هذا اللقب الصحافي رفائيل بطي على السيد ياسين الهاشمي في جريدته البلاد وسمي وزارته (وزارة الاصلاح)

(٢) محاضر المجلس النيابي للسنة ١٩٣٩

فالضرائب تفرض على هؤلاء البائسين وتصرف على أهل القصور العامرة بأسباب الزينة والترف •• فالكوخ العاري سيبقى كوخا عاريا ما دامت السياسة متجهة الى تعمير القصور وانشاء الحدائق •• والباركات وسيبقى الفلاح بثوبه الرث البالي ، ما دامت السياسة منصرفة الى تبذير أموال الدولة وخزنها في البنوك الاجنبية » •

وليس غريبا ونحن نستمع اليه يخاطب المجلس بمثل هذا الكلام الصريح ، ان نقرأ له قصيدة يخاطب بها احد ساسة العراق الذين عرفوا بسياسة التبذير وبناء القصور اذ راح يخاطبه قائلا :

بربك ما هذي القصور ؟ لمن تبنى ؟
ومن أين هذا المال تخزنه خزنا ؟
بربك هــل ابقيت للعدل حرمة
وللحكم اذ افسدت صورته ، معنى ؟

* * *

وحين تحدث عن موقف حكومة الهاشمي من مآسي البلاد قال :

تحدث النكبة بعد النكبة والازمة بعدالازمة والسياسة واحدة والاتجاه واحد •• نكب الفرات في ايامنا هذه بالفيضان فطغى على حاصل الشلب واتلف القسم الاكبر منه وخرب كثيرا من ملاجيء الفلاحين فماذا عملت (وزارة الاصلاح) ؟

ومن المؤسف يا سادتي ان البلاد اذا تمردت على سياسة الاهمال رميت بتهم الخيانة والهدم والتخريب والله يشهد والناس ان سياسة الاهواء والشهوات هي الهدامة المخربة •

أربعة عشر عاما عبرناها في ظل هذه التشكيلات فهل حدث فيها ما يدل على تقدم البلاد وانتعاش احوالها وهل شعر الناس ما عدا الذين يستهلكون أموال الامة طبعا بأنهم يعيشون في ظل حكومة وطنية قومية •

كلا يا سادتي ، ان شعور الناس يدل على خلاف ذلك اما علة شعور الناس بهذا النفور فأنه يعود الى السياسة المتبعة ، والسياسة المتبعة ، مزيج من سياستين باليتين ، سياسة العهد التركي وسياسة الانتداب فأذا كان الحكم الوطني يقوم على هاتين السياستين العتيقتين فأن مسافة الخلف بين الامة والحكومة ستتسع يوما بعد يوم ، فأنا ادعو رجال الوزارة الحاضرة الى التفكير بعواقب هذه السياسة والى امعان النظر في الوضع الراهن واتخاذ تدبير حازم لحل المشكلة بين القصر والكوخ •

بين طبقتين ، طبقة حاكمة لها كل الغنم ، وطبقة محكومة عليها كل الغرم •

الاصلاح هو الذي يجعل الامة تؤمن بالحكومة والحكومة تثق بالامة •

واذا قلت الاصلاح ، فأني اريد به العدل الاجتماعي واريد ان يكون العدل موزعا على افراد الامة على السواء •

بين الشيخ محمد باقر الشبيبي ورفائيل بطي

وفي الجلسة التي عقدها المجلس النيابي يوم ٦-١-١٩٣٦ وقف النائب الاستاذ رفائيل بطي صاحب جريدة البلاد ليعلق على ما جاء في كلمة الشيخ محمد باقر الشبيبي قائلا :

«اما القضية الثانية فما كنت أود من الزميل ان يتعرض لها بتلك الصورة عندما اتى الى بحث القيادة والزعامة أو ابوة الشعب •

فمن المؤلم - وانا صديقه وزميله في كثير من المواقف - ان يفتش عن الاسباب التي دعت الى نعتي بـ (ابى الشعب) للشخصية المحترمة المعروفة • وقد عرض بالانتخابات والظروف السياسية ولا أدري لماذا عرض وهو يعلم قبل غيره من الزملاء ؟ وكان أيضا من الذين اعتنقوا مبادىء من سميته (بأبى الشعب) ومشى تحت لوائه •

وانا قلت هذا قبل الانتخابات في مواقف كثيرة تمتد الى سنين طويلة، واني قلت بهذه الابوة ومن يدري فلعلني اقتبست هذه الابوة من حضرته في تلك الخطبة التي بايع بها تلك الزعامة والشخصية في سنة ١٩٣١ ؟ والخطاب مشهور ومحفوظ ومطبوع في الاذهان .

فما كنت أود من زميلي واخي ان يغمزني بهذه الغمزة بالنظر الى نعتي الابوة التي أتت عرضا » .

وهكذا اراد المرحوم رفائيل بطي ان يعرض بموقف الشيخ ولسان حاله يقول ما عدا مما بدا حتى تغير رأيك بالزعيم ابي الشعب ؟

واعتقد هو وغيره بأن ما قاله جواب مسكت لا يمكن الشيخ محمد باقر الشبيبي على الرد عليه الا انه في الجلسة التي عقدت يوم ٨-١-١٩٣٦ وقف بصوته الهادىء الرزين يرد على تلك الكلمة قائلا :

« نحن في هذه القاعة فريقان فريق ينتقد سياسة الحكومة على ضوء الاصلاح ، وفريق يتطوع لتأييد الوضع القائم على غير هدى ، والتطوع في هذا السبيل اسفاف تأباه الحياة النيابية وتأباه التربية السياسية وتأباه الحياة الفكرية وكرامة النواب .

المعت في خطابي السابق الى وضع الدولة وحال الامة واشرت الى اخطاء السياسة المتبعة وعلل الحكم الحاضر واستطردت الى ذكر (الابوة) التي نحتاجها في بناء نهضتنا فكان جدل وكان تعريض .

لم اغمز يا سادتي (قناة صديقي العزيز رفائيل بطي) فصديقي رفائيل لا تغمز قناته اللينة لا من ناحية الابوة ولا من ناحية الطفرة ، ثم قال :

« لم اختلف يا سادتي في خطبتي في هذه القاعة عن تلك الخطبة التي القيتها قبل أربع سنوات في ندوة حزب الآخاء الوطني التي ضبطها رفائيل بطي واسماها (خطبة البيعة) .

فأنا بايعت زعيم المعارضة يومئذ على ان يمشي في ظل الامة ويعتصم بسيادتها واهدافها .

فبيعتي كانت بيعة مشروطة والبيعة التي آمن بها رفائيل بطي ــ اذا صح ايمانه بها ــ لم تكن الا بيعة مطلقة ثم يقول : معلقا على ما جاء في كلمة الاستاذ رفائيل حول موقفه من الهاشمي .

« من مصائبنا يا سادة اننا الى الآن لم نجرأ على مصارحة المسؤولين وانتقاد سياستهم ومجابهتهم بالحقائق لأن روح العبودية متأصلة في هـذا الجيل .. فالنفوس الضعيفـة مطبوعـة على الذل والخوف ومطبوعة على التزلف والانقياد ... فلنترك هذه الدعايات اذا كنا اوفياء للامة ولننصرف الى معالجة مصائبها ومعالجة ما تنؤ به من الارزاء ولنكن اجرياء على بيان الواقع في كل الظروف .

الشبيبي وعهد بكر صدقي

لقد كان الشيخ محمد باقر الشبيبي على حق عندما نبه المسؤولين بضرورة التفكير بعواقب الامور والا فأن مسافة الخلف بين الشعب والحكومة ستتسع وقد اتسعت فعلا اذ لم يأت يوم ٢٩ تشرين الاول من عام ١٩٣٦ حتى سقطت حكومة الهاشمي نتيجة (الانقلاب العسكري) الذي قام به الجيش بقيادة الفريق بكر صدقي وتألفت حكومة جديدة برئاسة السيد حكمت سليمان وكخطوة أولى في سبيل الاصلاح كما ادعت بادرت بحل المجلس النيابي وانتخاب مجلس جديد في يوم ٢٠-٢-١٩٣٧ وكان الشيخ محمد باقر الشبيبي من بين نوابه أيضا .

ولم تتغير خطة الشبيبي في هذا العهد الجديد في الدفاع عن الحق ومصلحة الشعب والوطن فقد ظل صريحا جريئا كعادته ولايخشى في الحق لومة لائم ، حتى اذا شهد انحراف بعض قادة هذا العهد عن خط القومية العربية ، ولمس تنكرهم للمبادىء التي اعلنوها صبيحة يوم الانقلاب وقف هذا النائب الجرىء في يوم ٢٨-٤-١٩٣٧ يعلق على (لائحة قانون العفو انعام عن الاشخاص الذين قاموا بالحركة الوطنية في يوم ٢٩-١٠-١٩٣٦) ويقول :

« أريد ان أسجل بعض الملاحظات على (حادثة)[1] ٢٩ تشرين الاول ، وسأكون صريحا الى حد ما في بيان ملاحظاتي هذه ، ومن واجبنا كتواب ان نكون جريئين في بيان الواقع .

قوبل حادث ٢٩ تشرين الاول بمنتهى الدهشة في الاوساط السياسية لأنه أول حادث من نوعه فوجئت به هذه البلاد لأنه أول تدبير بيت للمسؤولين القدماء كان على جانب كبير من الخطورة مما دلنا على ان الذين دبروه كانوا مصممين على القيام بهذه التجربة الجريئة وتحمل مسؤولياتها .. ويظهر لنا ان هذه الحركة لم تكن وليدة معارضة بسيطة بعثتها ظروف الوزارة السابقة وسوء تصرفاتها فحسب بل كانت وليدة .. عوامل متعددة يرجع أكثرها الى روح السياسة العسكرية يومئذ واستعمال الجيش اداة للانتقام وجعله واسطة لأحتكار السلطة والتحكم في الرقاب والاموال ...

وهكذا تبدو لي هذه الحركة ، تبدو لي كنائب لابس ظروف الحكم الوطني وخبر سياسة الوزارات التي استغلت هذه الظروف .

أعتقد اني تمكنت من ايضاح جانب من جوانب هذه الحركة انما بقي شيء آخر هو هل كانت هذه الحركة نتيجة لسياسة العهد الماضي أم جاءت تمهيدا لسياسة عهد جديد .

انا لا اشك ابدا في ان سياسة العهد الماضي كانت قائمة على الانانية وانها لم تستند في الغالب على غير الدعاية بالاساليب المعروفة ولكنها كانت على كل حال مطبوعة بطابع (قومي) مما جعلها تكسب عطف البلاد العربية وتربح ثقة كتلها واحزابها وحكوماتها على السواء ... فالطابع القومي كان من أبرز مميزات تلك السياسة وبالطبع ان السياسة التي لا ترتكز على القومية سياسة فاشلة من كل الوجوه ... ثم يقول فالسياسة

---

(١) لقد اسماها (حادثة) ولم يسمها بالحركة الوطنية كما اسمتها الحكومة .

القوميـة اذن هي المثـلى وعقيـدتي ان رئيس الوزراء الحالي في طليعـة القائلين بهذا المبدأ ...

ولقـد صـدق ما قاله هذا النائب العربي الحر ، اذ لم يكد يحل يوم ١١-٨-٩٣٧ حتى تناقلت الانباء خبر مقتل الجنرال بكر صدقي في الموصل وبعد ذاك بأسبوع استقالت وزارة السيد حكمت سليمان فانتهى ذلك العهد وباءت سياسته بالفشل لأنها لم تكن تستند الى «القومية» كما اشار اليه الشيخ محمد باقر الشبيبي في خطابه ...

ان هذه الصور تعطي القارىء فكرة واضحة عن ايمان هذا الرجـل بحق امته في الحياة وحرصـه على التمسك بالدسـتور والحق والعـدالة الاجتماعية .



مَناهِج اِنتخابيّة

لعل القارىء الفطن قد رسم في ذهنه صورة واضحة المعالم عن هذا السياسى النبيل والوطني الفذ ، ووقف على الملامح المميزة له ، ومع هذا فاننا سنحاول في الصفحات القادمة تسليط الانوار الكاشفة على مختلف جوانب حياة هذه الشخصية العراقية اللامعة لاستكمال الصورة وابرازها جلية واضحة .

فمن هذه الملامح حسن التنظيم والدقة في عرض ارائه السياسة وتبيان مناهجه الانتخابية الى الشعب حتى أنه ليعتبر من أوائل السياسيين الذين سلكوا هذا المسلك في العراق فحين اراد خوض المعركة الانتخابية التي جرت أيام وزارة السيد نوري السعيد الاولى عام ١٩٣٠ ، وتقدم الى الشعب بمنهاجه السياسى ، قالت جريدة (الزمان) التي كان يصدرها المرحوم الاستاذ رفائيل بطي ، في عددها الصادر يوم ١٩-٩-١٩٣٠ وهي تقدم منهاجه ما نصه :

« الزمان - اعتاد الناس في البلاد المتمتعة بالحياة النيابية ان يشهدوا المشتغلين بالسياسة يتقدمون الى الشعب في عهود الانتخابات بترشيح

أنفسهم ، وعرض مناهجهم ليسير ابناء الشعب على ضوء هـذه المناهج في انتخاب من يتفق منهاجه مع نزعتهم ! !

ولم نر في موسم الانتخابات النيابية الحالي من تقدم الى الامةبترشيح نفسه أو يعرض منهاجه ، وها ان الاستاذ محمـد باقر الشـبيبي (نائب المنتفك الاسبق) يسير في الطليعة في هـذا الباب فقـد بعث الينا بهـذا الخطاب الى الشعب يرشح نفسه للنيابة ويعرض منهاجه ننشـره بناء على طلبه مؤملين ان يكون قدوة للمشتغلين بالسياسة ! ! ».

ولما كان هذا المنهاج الانتخابي يكشف لنا عن رأي الشيخ محمـد باقر الشبيبي السياسي وعن وجهات نظره في كثير من قضايا الوطن الهامة عام ١٩٣٠ ، فقد آثرنا ان نثبت نصه كاملا فيما يلي كي يتسنى لنا بعـد ذلك تلمس التطور الفكري والسياسي الذي حدث في حياته بصورة عامة والى القارىء نص البيان .

الى الشعب العراقي النجيب

الى الامة التي انابتني عنها أمس

ارشح نفسي اليوم !!

أما (المقاطعة)(١) فانها هزيمة مرة ، وانكسار مريع ، ومصيبة أقل شرورها انها تضع بيد السلطة سلاحا آخر تحارب به حقوقنا وتحتج به على نقص تربيتنا ، وقلة كفاءتنـا . وقد جربناهـا في المجلس التأسيسي ، والوطن فرد لم تجزئه الوظائف والدسائس فكانت عونا للمهيمنين ، وكانت غلطة جنينا المر منها ونستغفر الله من نتائجها ! !

فالمقاطعة ، اذن ، خصوصا اذا كانت فردية ، معناها محاربة الأمة في أعز مقدراتها ، وفي اقدس حرياتها ، وحرمانها من سلطانهـا الذي أقرته الشرائع والدساتير ! !

---

(١) يعني بذلك قرار المقاطعة الذي اتخذه الحزب الوطني العراقي ضد الانتخابات

ومن اماني الاستبداد ، ان يخلو له الجو ، ويصفر المكان ، وان تموت روح اليقظة وحركة الانتباه • وان لا يكون عليه سلطان ولا رقيب ! !

هذه عقيدتي ، ارسلها لمن يؤمن بها من الناس • واذا رشحت نفسي في هذه الدورة فذلك لاني احاول ان انفع الأمة في وقت تناولها الضر ، ومس كرامتها الرق •

وان اخدم الدولة ، وقد مشى في مفاصلها السقم واستفحل في احشائها الداء فمن دعايات في الشمال ، وفتن في الجنوب ودسائس على الحدود ، عواصف شتى ، ان هدأت واحدة ثارت اخرى وان هذه سكتت تحركت تلك ! !

بهذا الشعور أتقدم الى الأمة الكريمة ، مرشحا نفسي للدفاع عنها ، والذود عن مطالبها وتأييد حقوقها بقدر ما املك من الكفاية والاستعداد ، واضعا نصب عيني في محاسبة المسؤولين ، اذا فرطوا ، ومناقشة المسؤولية اذا لم تستعمل في معناها الصحيح ! ! ومن حقي وحدي تقدير المسائل التي يعالجها المجلس ، وان احكم فيما ينفع وفيما يضر ، ومن حق الامة ان تضع ثقتها الغالية فيمن تختار للتوكيل من الرجال الذين بلتهم في مواطن الخطر وجربتهم في أيام المحن !

أما منهاجي الذي أؤخذ به واحاسب عليه فاني الخصه في المسائل الآتية :ـ

وحين راح يعدد هذه المسائل جعل (المعاهد الجديدة) المزمع عقدها مع بريطانيا آنذاك في المقدمة ، وبعد تحليل للظروف المحيطة بالسياسة العراقية وكيفية التمهيد لعقدها قال :

« والخلاصة اني أعد هذه المعاهدة ثقيلة لا تطاق لذلك اتشرف برفضها مع تقديري العظيم لجهود المفاوض العراقي واعجابي بحسن بلائه في مواقف العمل ! ! » •

والمسألة الثانية التي تكلم عنها (التجنيد الاجباري) فقال :

« اذا قلت التجنيد فمعناه سياج الوطن وروح الاستقلال ، وانه الكرامة والشرف الرفيع ! واذا قلت الجيش فانما اريد به الجيش الصحيح والقوة الجبارة أما الظل فلا يلبث ان يزول .. اني ارحب بالجندية الاجبارية على شرط ان لا يكون للسياسة الاجنبية سلطان على تأليفها وان تسلم من اثار الفوارق وقواعد الاستثناء فلا يعفى قوم ويؤدي (ضريبة الدم) قوم ! !

وكل ما أريده ان تكون هذه الاداة الوطنية المقدسة في امان من تأثير العوامل التي تجعلها لا تصلح للدفاع الوطني بمعناه الشريف » !

اما المسألة الثالثة التي اثبتها في هـذا المنهاج العتيد فهي (مشكلة الاراضي) التي كانت من العقد الكبيرة في العراق آنذاك ، وفي مقدمة أسباب القلق الداخلي وفي هذا الخصوص يقول في منهاجه .

« فالواجب اذن وقبل كل شيء ، ان تسرع الحكومة والمجلس معا ، الى حل هذه المشكلة وذلك كما قلنا بطريقة « التوزيع والتمليك »والا فليس من العدل ، مطالبة الفلاح بما يسمونه (حق الحكومة) في الوقت الذي لم تعترف له الحكومة بشيء من الحق » !

والمسألة الرابعة كانت « السكك الحديد والميناء » وأخيرا عرض ما سيكون عليه (موقفه في المجلس) قائلا :

« ولي الشرف بعد ذلك ، ان أقوم بواجباتي النيابية على ضوء المعارضة الشريفة اذا قدر لي الفوز ، وهذا الموقف لا يمنعني من مصافحة الاحزاب والفرق البرلمانية والاتفاق معها على ما ينفع الوطن .

هذه سياستي ، اتقدم بها الى الامة الكريمة في بلاد المنتفك ، فاذا رأتني كفءا لأنوب عنها فانني اعاهدها ان أكون عند رأيها محافظا على ثقتها الغالية في كل وقت والله من وراء القصد » . ومهما يكن من شيء فان

هذا البيان وحده كفيل بان يحمل الحكومة على مناوأته والعمل على ابعاده عن المجلس شأنه في ذلك شأن امثاله من رجال المعارضة الاشداء الذين حاربتهم أشد المحاربة في تلك الانتخابات بالذات . فلا عجب ان لم يكن الشيخ محمد باقر الشبيبي في عداد نواب تلك الدورة .

وقد مر بنا ان الاستاذ الشبيبي أصبح عضوا في المجلس النيابي في أربع دورات وكان آخر أيامه في المجلس النيابي هو يوم ٢٢-٢-١٩٣٩ وهو اليوم الذي حل به ذلك المجلس وكان آخر أيام الدورة الانتخابية الثامنة . حيث لم يعد يقوي على النزال بعد ان بدأت عليه اعراض مرض (الربو) وأخذت تشتد يوما بعد يوم ، فابتعد عن ميدان السياسة خلال سنى الحرب العالمية الثانية ولم يرم بنفسه في اتون الانتخابات لا سيما بعدما أصبحت العوبة مكشوفة بيد الحكومة ، ومع هذا فقد اتخذ من صفحات الجرائد في العراق وخارجه المنبر الذي يعبر فيه عن آرائه السياسية العامة . ولكنه شاء في عام ١٩٥٤ ان يعاود الكرة لا سيما بعد ان أصبح الانتخاب كما يقولون انتخابا مباشرا ، اذ عندما شغر المقعد الذي كان يشغله اخوه الاستاذ محمد رضا الشبيبي في المجلس النيابي لتعيينه عضوا في مجلس الاعيان ، بادر الى ترشيح نفسه يوم ٢٤-٢-٩٥٤ لذلك المقعد الشاغر في (المنطقة العاشرة) اي منطقة الكرادة الشرقية ، وقد شاء ان يزاحمه على هذا المقعد وزير المالية آنذاك وهو الاستاذ عبدالكريم الازري ، فكان التنافس بينهما على ما بدا آنذاك (غير متكافيء) ومع هذا فقد أصدر الشيخ الشبيبي بيانه الاول الذي قال فيه :

« واذا نزلت الى هذه المعركة فلا انزل واترا ولا موتورا . فلست ممن يتلذذ بالخصومة أو يستخذي للحكومة . ولست اهدف مطلقا الى مناوأة اصدقائي الذين اقدموا على ترشيح أنفسهم انما احتفظ بصداقتهم واعتز بأخوتهم واحفظ لهم جميعا - لا سيما الاستاذ الازري - اسمي ما يحفظه صديق لصديق » .

وبعد ان ينبه الحكومة الى ضرورة التزام جانب الحياد في هذه المعركة وان تحمل بيدها مشعلا لتنير به الطريق لا لتضرم النار قال :

« ويسرني كمرشح عن هذه الدائرة المحترمة ، ان يعلم الناس في كل مكان ، ان ترشيحي لا يستند على (مادة) ولا يرتكز على (سلطان) وانه منتزع من روح الامانة والصدق ، ومن صميم الحق والعدل وان امكانياتي لا تخرج عن كونها ، مجموعة من المثل والمعنويات » .

ثم يعرض بما يقوم به خصومه في هذه المعركة ويقول : (.. فلم انزل الى هذه المعركة بيد (سيف) ويد (رغيف) . وان حملة من الولائم والموائد ، وان غارة على المناطق الآمنة والدوائر الهادئة لا تكفي للسيطرة على الموقف واحراز النصر ، وان فوزا من هذا القبيل لا يسمى (فوزا) بل فشلا منقطع النظير .

ونصيحتي للمسؤولين وغير المسؤولين ان يتحرروا من الانانية ويفكروا في محنة الوطن وحرية الوطن ، وسلامة الوطن ، اما الحكم الضالع ، واما السياسة المترهلة ، فانها تسد الطريق[1] .

ولما كانت وزارة الجمالي على ما بدا للشيخ محمد باقر الشبيبي ، تريد (الفوز) لوزيرها في هذه المنطقة ، ولذلك راحت تتدخل شتى انواع التدخلات ، تجاه هذا الوضع اضطر الشيخ الشبيبي الى توجيه (نداء ثان) بتاريخ ٧-٣-٩٥٤ ، الى ابناء المنطقة جاء فيه :

« وكان جديرا به - الوزير - في هذه الحالة ان يستقيل من الوزارة ، حتى يسلم ترشيحه من الطعون ، وحتى لا يكون موضعا للغمز وسوء التأويل ، فانه يعلم بلا شك ، ان التجريح يفسد الترشيح وقد اثار نزوله الى الميدان - بالصورة التي نزل بها - عاصفة من الظنون وضجة من الشكوك .

---

(١) البيان الانتخابي الذي وجهه لابناء المنطقة العاشرة في بغداد بتاريخ ٢٤-٢-١٩٥٤ .

ومن دواعي الخجل ان اثارها الجائمة سوف تبقى (طابعا) تحمله وزارة الدكتور الجمالي و (توقيتا) لنكسة الحريات الدستورية في عهد الدكتور الجمالي واحدى علامات الاستفهام في رئاسة الدكتور الجمالي .

وكان خليقا به ان لا يجعل لنفوذ الحكومة (منة) على ترشيحه وان لا يترك لسلطان الوزارة (دالة) على نيابته ، ولو رشح نفسه كواحد من الناس لكسب عطف الناس .

وسهل على (وزير) في هذا البلد بان يربح النيابة وغير النيابة ، ولكن الصعوبة ان يربح الثقة ويربح الاعتماد . فالثقة لا تنال الا بالثقة ولا تكسب الا بالتضحية ولا تدرك الا بالاخلاص وان خسرانها لا يعوض بالمناصب كلها لا بالنيابة فحسب .

واني (في أي حال) باق على العهد ، وماض على الوفاء لهذا الوطن قبل ان يتجزأ الى مناطق وينقسم الى دوائر وقبل ان يصبح مسرحا للشهوات والاهواء » .

وهكذا بنشرنا بعض ما جاء في البيان الانتخابي الذي أصدره عام ١٩٣٠ وما جاء في بيانيه اللذين أصدرهما بعد مرور (٢٤ سنة) على صدور بيانه الاول ، سيكون بمقدور القارى الكريم الوقوف على خط سير هذا السياسي العراقي المستقيم ، وتلمس صلابته في الحق واندفاعه في سبيل الخدمة العامة .

ولقد جئنا بهذين النموذجين من بياناته ومناهجه الانتخابية كي نعطي القارى فكرة عن آرائه السياسية ووجهات نظره في كثير من قضايا الساعة في البلاد ، ونختم هذا البحث بقصيدة له عبر فيها عن رأيه بأحد رجال السياسة العراقيين الذين نالت البلاد على يديه العنت والارهاق ، دون ان يصرح لنا باسم هذا السياسي ، فيقول :

بربك ما هذى القصور لمن تبنى
ومن أين هذا المال تخزنه خزنا ؟

بربك هل ابقيت للعـــدل حرمة ؟
وللحكم ـ اذ أفسدت صورته ـ معنى ؟

مصـــائب جاءت من لدنك كثـــيرة
فكم اهلكت حيـــا وكم اتلفت مغنى

هنـــاء الألى روعتهم في بيـــوتهم
وافزعتهم ، ان لا تســـر ولا تهنا

بلاد بهـــا كان السرور مصفقـــا
فعادت وقـــد ألبستها البؤس والحزنا

وابدلتهـــا خوفا وكان رجاؤهـــا
ستبدلهـــا بالعدل من خوفها أمنـــا

وحين يعرج على ذكر ما وصلت اليـــه الحالة السياسية في العراق وضياع آمال المواطنين بمن تصدر لادارة الحكم في البلاد ، قال :

وما مزق الأوطـــان الا ســـياسة
قضى حكمها ان لا نعود كما كنـــا

وما أفســـد الاخلاق الا جمـــاعة
ترى الخلق العالي الدناءة والجبنـــا

أساءت الى روح الســـياسة عصبة
الى الآن لم تدرك ســـياستنا الحسنى

بنينـــا وانشـــأنا ولكن غيرنا
يخرب ما كنـــا بنينـــا وانشأنا

قلم المعارضة وصوتها المدوّي

وليس من باب المغالاة اذا قلنا ان الشيخ محمد باقر الشبيبي في مقدمة الكتاب السياسيين في العراق ومن أقوى خطباء المعارضة الذين كان لهم الأثر الكبير في نفوس ابناء الشعب لا سيما في الثلاثينات وعلى الأخص بعدما تولى السيد نوري السعيد شؤون الحكم في العراق وقيامه بالتمهيد لعقد معاهدة عام ١٩٣٠ • ويرجع اليه الفضل في توحيد كلمة المعارضة وجمع شملهم في حزب معارض واحد للوقوف صفا واحداً ضد مؤامرات الاستعمار البريطاني ومكائده في العراق •

فقد نشرت له جريدة (الزمان) التي كان يصدرها الاستاذ رفائيل بطي في عددها الصادر يوم ٢٦-١٠-١٩٣٠ ، مقالا افتتاحيا بعنوان •

«هل يبعث حزب جديد للمعارضة ؟ » حمل فيه على أساليب حكومة السعيد في كيفية اجراء انتخابات المجلس النيابي وما قامت به مداورات ومناورات ضد رجال المعارضة الاحرار وختم مقاله قائلا :

« •• فلم يبق لنا من أمل للتخلص من هذه السياسة الخرقاء الا بان تتحد فلول (حزب الشعب) مع الذين سينقضون على الوزارة من بين

مرشحيها الاذكياء ، ويقوموا بدورهم في هذه الدورة الحاسمة كما فعلوا في الدورة الاولى » .

ثم راح يحبر المقالات السياسية الهامة وينشرها على صدور صحف المعارضة وفي مقدمتها (الزمان) و (نداء الشعب) وغيرهما فكان أثر تلك المقالات النارية قويا وفعالا اذ لم تمض الا اسابيع حتى برز الى ميدان المعارضة (حزب الاخاء الوطني) الذي ضم كبار زعماء المعارضة في العراق .

ولما صدر العدد الاول من الجريدة الخاصة بالحزب وهي جريدة (الاخاء الوطني) في يوم ٢-٨-١٩٣١ كان المقال الافتتاحي ، بقلم الشيخ محمد باقر الشبيبي وعنوانه « الامة تحاسب الحكومة » قال فيه معرضاً بالوزارة القائمة .

(الحق ان هذه الوزارة لا تصلح للحكم ، وقد برهنا على ذلك في جملة مواقف ، وقلنا يومئذ عن ضعفها وخورها ، انها لفقت تلفيقاً ، والفت من عناصر لم تستجمع الشروط اللازمة ، كالنضوج السياسي والقدرة على تدوير الامور .. بيد ان السياسة شاءت ان تجمع من هذه الزمرة المختلفة المدارك والاخلاق والثقافة القومية ، والمعروف عن هذه السياسة انها تصطنع الضعاف وتقرب النكرات ، وتجعل من بينهم بطانة لا تأنف من الطاعة العمياء والانقياد الاهوج .. وتستبيح الشمم في سبيل غاياتها واهوائها ... . ولم يكد ينتشر هذا العدد حتى بادرت الحكومة الى توجيه (انذار) الى مدير الجريدة المسؤول . غير ان هذا الانذار لم يؤثر في خطة الحزب لمحاربة الحكومة اذ كتب فيما بعد (قلم المعارضة الثائر ، الشيخ محمد باقر الشبيبي مقالا عنوانه (صفتنا التمثيلية والدستور) قال فيه :

« عالجنا في مستهل العدد الاول من جريدتنا ، واثبتنا بالادلة

والشواهد ، ان البلاد تملكها الذعر على مستقبلها ، ومن حقها ان تقلق ، ومقدراتها بيد ، فئة تستعذب النشوز ، وتستملح الشذوذ ، وتأوى الى التصرفات الكيفية ، وبينا ، بناء على هذا الاساس ، وجوب تنحية الوزراء وكان منتظرا ان يقيم قيامتهم ، بحث سياسي حر ، شددنا به النكير على السياسة الخاطئة والتصرفات الشخصية ، واستعملناه للمحاسبة الدقيقة من طريقها المشروع ، فحاسبناهم بأسلوب حزبي شريف لم تبعثه الشهوة للحكم ، ولم ينشره التنافس على اقتعاد كراس تأكلت قوائمها الانانية وغمط الحقوق » .

ثم تتابعت مقالاته التي راح يهاجم بها الحكومة ويفسد على الاستعمار خططه في اثارة الفتن وتفريق كلمة الشعب ، ففي مقاله المنشور في جريدة الاخاء الوطني يوم ١١-٩-١٩٣١ بعنوان (سياستهم في الالوية) قال :

« بذلت جهود السلطات منذ الاحتلال وبعد تشكيل الحكم الوطني لتفريق العشائر وتشتيتها ، وفصل بعضها عن بعض وضرب قبيلة بقبيلة ، وبعث الضغائن والحزازات القديمة بين الواحدة والاخرى واهتمت بنوع خاص بتجريدها من المال والسلاح واقامت حواجز كثيرة بين الحواضر وبينها .

وبالغت بالتضييق على كبار الزعماء وكانت أكثر جهودها مصروفة الى الفرات الاوسط فطبقت اصرم القوانين واشدها خصوصا ما يتعلق بسياسة التفقير وحاولت جهدها ان تقضى على عناصر القوة ولا تزال تستعمل مختلف الاساليب لمحاربة السياسة الوطنية ومقاومة الشعور القومي وشل حركة الاستقلال ولكنها محاولة فاشلة على كل حال ، فالفرات الذي ضحى ما ضحى في سبيل الحرية والانعتاق لا تقعده الاساليب الخاصة ، ولا تؤثر على جهاده الدعايات المعلومة .

وليس الحواجز التي اقامها الاستعمار مهمـا كانت ان تكون مانعا تحول بينه وبين امانيه الشريفة ولو ادى ذلك الى تضحيات جديدة اغلى من تلك التضـحيات ... ولولا بقية امل بما نسميه (بالحكم الوطني) لكانت تلك الحواجز اشتاتا تلوذ (بالمطارات) وتأوى الى (المباني الطينية) والمعسكرات » .

اما مواقفه الخطابية في المناسبات والاجتماعاتالسياسية فكثيرة وعديدة تحتفظ له عنهـا ، سـجلات الـكفاح الوطني في العراق باكرم المواقف واثمن الذكريات .

فقد كان حقا الصوت المدوي للمعارضة والخطيب الشعبي المحبوب . اذ كان خطيبا مفوهـا فصيح العبارة اذا خطب في المجلس أو في أحـد المنتـديات أتى بالعبارات البليغة لأنه يفكر قبـل ان ينطق بالعبـارة وكان لهذاالسبب ذا تأثير عظيم على السامعين[1] .

وكمثال على ذلك ما جاء في خطابه الذي ارتجله ارتجالا في حفل افتتاح فرع (الحزب الوطني العراقي) في ديالى في أوائل شـهر مايس عام ١٩٣١ حيث قال :

« اما هذا الواقف بين ايديكم فأنه لم تبق منـه الحوادث القاسية ودسائس السلطات وتقلبات الاحوال والاشخاص الا هذا الهيكل العظمى .

وهل يستطيع هيكل قوست ظهره مهازل عشر سنوات ان يقول شيئا ينعش نفوسكم ويثير اعجابكم وحماسـكم لا سيما بعـد الذي قاله أبو التمن[2] .

ماذا يقول فتى هدمت شبابه سياسـة الغرباء وتصـرفات نفر كانوا ولا يزالون عونا للاجنبي وحربا على الامة في كل الظروف والاحوال .

---

(١) مجلةالوادي — ٨ حزيران١٩٦٠لصاحبها الاستاذ خالدالدرة
(٢) هو المرحوم الحاج محمد جعفر ابو التمن — زعيـم الحزب الوطني العراقي

وهكذا تمر الايام وتكر السنون وتتغير الاوضـــاع ويتنكر كثير من الرجال الى المبادىء التي ساروا عليها في مفتتح حياتهم السياسية أما هو أما الشيخ محمد باقر الشبيبي فقد ظل امينا على العهد وفيا صادقا في خدمة أمته ووطنه وها هو في عام ١٩٥٤ يهاجم (مشروع الحلف الباكستاني ـ التركي) وينشر على الناس مقالا(١) بنفس الروح وبنفس الاندفاع الذي عرف عنه منذ أكثر من ثلاثين عاما أو تزيد .

بنفس الروح وبنفس الاندفاع الذي عرف عنه منذ أكثر من ثلاثين عاما أو تزيد .

وقد رسم في هذا المقال صورة لنوري الســعيد ، كما يراه هو اد يقــول فيــه :

« اما نوري السعيد ، ولا أريد ان استعرضه جنديا وسياسيا فأنه كما بلوناه منذ ثلاثين عاما وكما جربناه في هذه الحقبـة من الزمن سياسى مغامر يلعب بالنار .

وان تجاربــه في السياسة الخارجيـة لا تخرج عن هذه الحدود نار ووقود .

وانه يرى سلامة الوطن العربي بالانحياز الى كتلة معينة ويرى ان سلامة الشرق الاوســط انما تقوم على مجموعة من القواعــد والثكنات والمعسكرات تربض فيها احدى قوى الشر والطغيان ومن هنـا نجزم بأن السيد السعيد وهو من (علل الحلف الثنائي) كما قلنـا لا ينحرف عن هذه السياسة الا اذا تغير التصميم ... » .

* * *

وأخيرا فمــاذا يقول القاري النبيل في مثــل هذا السياسى الحر والوطني الجرىء ؟

الا يراه مثلا نادرا من رجال السياسة وهل يجد في الصفحات الماضيات

---

(١) نشر في جريدة الحارس ـ لصاحبها الاستاذ صبيح الفافقي يوم ٢٧ـ٤ـ١٩٥٤

الا الاستقامة والاخلاص والتفاني في سبيل هذه الامة وخدمة هذا الوطن .

فلا عجب بعد ذاك اذن ان نسمعه يصف منا مشاعره وآلامه عما وصلت اليه الحالة في العراق عام ١٩٤٠ حيث يقول :ـ

بلادك والدسائس حافزات ... ميادين معبدة وسوح
بلادك أصبحت وطنا مريبا ... وأكثر ما يريب بها يلوح
تمر بها الحوادث آمنات ... ومن يدري أتغدو أم تروح
فحادثة يجللها سكون ... وحادثة قنابلها تطيح
ظلام في سياستنا مخيف ... وظلم في ادارتنا قبيح
مللناها مظاهر كاذبات ... تقنعها البراقع والمسوح
تلفقها دعاوي باطلات ... فتدعمها الذوابل والصفيح
وكانت دولة فغدت هشيماً ... وقد عصفت بها ريح وريح
اضعناها مواطن غاليات ... اضعناها فنوحوا ثم نوحوا

في دنيا الوظيفة

وشاءت الظروف القاسية ومتاعب هذه الحياة ان تحمل هذا المناضل الثائر على ان ينزل تحت ضغط والحاح اخوانه ومقدري جهاده ووطنيته ويقبل الدخول في سلك موظفي الدولة في أوائل عام ١٩٣٣ .

اذ صدرت الارادة الملكية القاضية بتعيينه (مفتشا للغة العربية) في ديوان وزارة المعارف بتاريخ ٢-١-٩٣٣ واستنادا لهذه الارادة صدر الامر الوزاري المرقم (٧٣) المؤرخ ٤-١-٩٣٣ بتعيينه براتب قدره (-/٤٢) دينارا شهرياً .

وهكذا فتحت لهذا السياسي الثائر .. صفحة جديدة من صفحات حياته،ما كان منتظرا لها ان تفتح ، تلك هي صفحة الوظيفة فقد كان مفروضا ان ينال هذا الرجل المناضل حقه جزاء وفاقا لما قدم من خدمات وما بذل من تضحيات في سبيل أمته ووطنه .

ومهما يكن من شيء فقد استقر به المقام في احدى غرف ديوان وزارة المعارف .

حتى اذا حل شهر نيسان من تلك السنة ، قام بجولة تفتيشية صحبة الدكتور الجمالي والدكتور عقراوي مدير دار المعلمين الابتدائية زاروا

خلالهـا الالوية الجنوبيـة واطلعوا على احوال المدارس فيهـا وعلى سير التدريسات في تلك المدارس ، وعادوا الى بغداد ليضع كل منهم تقريره في حقل واجبه واختصاصه .

ثم مرت الايام والشيخ محمد باقر الشبيبي مستمر في عمله ولسان حاله يقول (مكره اخاك لا بطل ...) .

حتى اذا انتهت السنة وانتهت بأنتهـائها مدة التجربة كان لابد من صدور توصية من مدير المعارف العام تقضي بتثبيته في وظيفته .. وقـد كان من غير المتصور ان يرفض سيادته اصدار هذه التوصية ولكن الحقيقة التاريخية تشير الى العكس فقد رفض مدير المعارف العام ذلك ، كما هو واضح في مذكرته المؤرخة في ٣١-١-١٩٣٤ المرفوعة الى وزير المعارف وهذا نصها :

معالي الوزير :

ان الشيخ محمد باقر افندي الشبيبي قد عين في ٥-١-٩٣٣ لوظيفة مفتش اللغـة العربيـة براتب (-/٤٢) دينـارا بدون استمزاج رأي هذه المديرية .

ان هذه الوظيفة كانت قد احدثت في سنة ١٩٢٤ وعين لها الاستاذ معروف افندي الرصافي ونقل منهـا في ١ أيلول ١٩٢٧ الى مدرسـة دار المعلمين العليا .

ثم الغيت هذه الوظيفة بناء على عدم وجود اشغال لها ، ومع الاسف تكررت هذه العملية في سنة ١٩٣٣ رغم التجربة السابقة .

واني مع احترامي الشخصي للشيخ باقر افندى الشبيبي لا استطيع المصادقة أو اقتراح تثبيت موظف ، بوظيفة لا شغل لهـا ، اذ ان المومى اليـه ، رغم كفاءته في اللغـة وفنون الشعـر والاداب العربيـة وبالنظر لعدم وجود شـغل لوظيفته ، لم يقم بأي عمـل يذكر خلال هـذه

المدة ، واني أرى في الامكان الاستفادة من مواهب وعلوم المومإ اليه في مواضيع اللغة العربية .

وعليه اقترح تثبيته اذا كان بالامكان الاستفادة من علومه بتدريس الفلسفة وفقه اللغة العربية وادابها على الصفوف المنتهية في دار المعلمين والثانوية المركزية مدة بضعة ساعات في الاسبوع مع مراعاة النصوص المالية فيما يتعلق بالملاكات[1] .

ومع هذا فالذي يبدو ان وزير المعارف لم يأخذ برأي المدير العام لأن أمر تثبيته في وظيفته قد صدر بتاريخ **٣-٢-١٩٣٤** الا ان بقاءه في دنيا الوظيفة لم يطل بعد ذاك أكثر من (خمسة أشهر) ففي يوم **٣١-٧-١٩٣٤** وجه له (وزير المعارف) رسالة شخصية يعلمه فيها بالغاء وظيفته ، وهذا نص الرسالة :

الى حضرة الاستاذ الشيخ باقر الشبيبي المحترم

« تأسف هذه الوزارة على حرمانها من خدماتكم التي انهيت بمناسبة الغاء وظيفة مفتشية اللغة العربية التي كنتم تشغلونها واننا نشكركم على ما قمتم به من الخدمات خلال بقائكم في الوظيفة المذكورة » .

وبهذا التاريخ انتهت الفترة التي عاش فيها في دنيا الوظيفة التي امتدت ثمانية عشر شهرا بالتمام والكمال وانتهت عند ذاك صلته بها ، تاركا في تلك الوزارة ودوائر الدولة الاخرى كل من هب ودب من الزعانف والأمعات ينعمون بخيرات هذا الوطن ، اما هو وأمثاله من المواطنين المخلصين الذين كان لهم القدح المعلى في اقامة هذا الحكم فليس لهم الا التنكر والعقوق ! !

---

(١) نقلنا هذا الكتاب من ملفته الشخصية المحفوظة في وزارة التربية .

الشاعر الثائر

عرفنا في الصفحات المتقدمة الكثير عن مقومات شخصية الاستاذ الشيخ محمد باقر الشبيبي بما عرضنا له من صور ونماذج تمثل مختلف أوجه تلك الحياة الزاخرة بالفعالية والنشاط .

لقد عرفناه صحافيا ثائرا ، وكاتبا جريئا ، وخطيباً مصقعاً ومعارضا صعبا .

وبقي علينا ان نستقرىء ملامحه (شاعرا ثائرا) فقد كانت قصائده الوطنية التي انشدها أو نظمها في كثير من المناسبات والاحداث السياسية التي مرت على البلاد ذات أثر بعيد في نفوس ابناء الشعب وقد ظل الكثير من تلك القصائد أو المقطوعات الشعرية الى يومنا هذا مثلا رائعا من أمثلة الجرأة والصراحة ، والاندفاع في سبيل الحق والمصلحة العامة ولا عجب في ذلك ، فقد كان شاعرا مرهف الحس مشبوب العاطفة ولولا انغماسه في شؤون السياسة وانصرافه الى منازلة السلطة الغاشمة في العشرينات والثلاثينات بصورة خاصة ، ولولا المرض

الذي لازمه فنغص عليه حياته أكثر من عشرين عاما ، لولا كل هذه المزعجات والمنغصات لسلك شيخنا الشاعر مسلك اخوانه واقرانه من ابناء النجف الاشرف كأخيه الكبير الاستاذ محمدرضا الشبيبي والمرحوم الشيخ علي الشرقي والاستاذ أحمد الصافي النجفي وغيرهم من كبار شعراء العراق ، ولخلف لنا ديوانا ضخما ومجموعة طيبة من الشعر الرائق الرائع ...

ولهذا كان قليل النظم الا انه لم تستهوه من أبواب الشعر في الغالب غير الناحية السياسية الوطنية .

وعن هذه الناحية كتب الاديب العراقي المعروف الاستاذ خالد الدرة في مجلته (الوادي)(١) قائلا :

ان معظم قصائد الشبيبي الصغير ، ان لم اقل كلها هي من طراز الشعر السياسي أو لنسمه (الشعر الوطني) وان اديبا يبلغ منزلته الشعرية لابد ان يكون قد أطلع على الكثير مما وصل الينا من الدواوين الشعرية العربية وفيها أغلب الابواب الشعرية من وصف وغزل وخمريات وحماسة وتصوف وملاحم وقصص الخ ..

غير ان شيخنا المرهف الحس لم تستهوه من أبواب الشعر غير الناحية السياسة وهو اتجاه لا الومه عليه فالعوامل النفسية اضطرته الى هذا الاتجاه اضطرارا ... بل هي نزعة محمودة اذا ما درسنا الفترة التي عاشها شاعرنا واجتازها وطننا خاصة اذ ما قارناه بكثير من الشعراء الذين لم يجاروه في اتجاهه الوطني النبيل ، بل انصرفوا في أشد السنوات التي اجتازها وطننا حلكة الى الابواب العامة من الشعر .

وسنحاول في هذا البحث ان نقصر حديثنا عما سجله له تاريخ الادب في العراق الحديث ، من قصائد ، بدا فيها شاعرا ثائرا عبر فيها عن

(١) العدد (١٥) الصادر يوم ١٨-٦-١٩٦٠ .

اماني الشعب الوطنية وسجل لنا بها حدثا من الاحداث السياسية التي مرت على البلاد •• وعلى هذا الاساس سنقدم الى القاري الكريم تلك القصائد التي احدثت دويا كبيرا في مختلف ارجاء البلاد والتي لا يزال صداها يرن في آذان المواطنين الذين عاصروا تلك الفترة وعاشوا تلك الأيام العصيبة ولكننا قبل ان نقدم تلك القصائد يجدر بنا ان نبين للقارىء الكريم ان المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي كان قد سلك منذ بدأ بنشر مقالاته وقصائده على صفحات الصحف والمجلات العراقية والعربية المختلفة طريق الاختفاء وراء (تواقيع مستعارة) في كثير من الاحيان ••• ولم يكتف بتوقيع واحد بل اتخذ له تواقيع عدة كان منها (فتى العراق) (فراتي) و (ابن العراق) و (عربي) و (نجفي) وما الى ذلك من التوقيعات التي كان يعتمد التوقيع بها ، كما هو واضح في مقالاته وابحاثه وقصائده التي نشرها في مجلة (العرفان) وجرائد النهضة العراقية والجهاد ودار السلام أو غير ذلك من المجلات والجرائد العربية مما لم يتسن الوقوف عليه •

ونود ونحن نشير الى كون هذه التواقيع انما هي التواقيع التي كان الشيخ محمد باقر يذيل بها ابحاثه وقصائده نود ان نقول ان بعضها قد كشف هو عنه بنشره قصيدة بتوقيع مستعار مرة وبأسمه الصريح مرة اخرى فقد كان ينشر قصيدة في العراق بتوقيع (فتى العراق) مثلا ، ثم ينشرها بأسمه الصريح في مجلة العرفان اللبنانية مرة اخرى • وهكذا •

وفضلا عن هذا فقد ذكر لي ابنه الاستاذ (صادق الشبيبي) ان والده ذكر له التواقيع المستعارة التي كان يستعملها في كتاباته ، وهي التي ذكرنا وهذا ما أكده لنا أخوه الاكبر الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي حفظه الله •

وبعد ، فها نحن اولاء ، نقدم للقارىء الكريم بعض القصائد التي

القاها الشيخ محمد باقر الشبيبي أو نظمهـا في بعض المناسبات الوطنيـة والاحداث السياسية •

الا اننا سنحاول في نفس الوقت اعطاء فكرة مبسطة عن الاشخاص والوقائع التي قيلت بهم أو بها تلك القصائد على الوجه الآتي :ـ

الشبيبي والمستر كراين

لعل القارىء الكريم يتذكر ذلك البيت الذي يقول :

المستشار هو الذي شرب الطلا فعلام يا هـذا الوزير تعربد ؟

انه أحد ابيات القصيـدة السياسية التي القاهـا الشيخ محمـد باقر الشبيبي في الحفلة التي اقامتها الشبيبة العراقية على شرف (المستر كراين) حين زيارته بغداد عام ١٩٢٩ •

فمن هو المستـر كراين هـــذا المحتفى به ؟؟ ولماذا يحتفى به في العراق وغيره من البلاد العربية التي مر بها آنذاك ؟

هو الثري الاميركي المعروف (المســتر جارلس كراين) الذي انتخبه الرئيس الاميركي (ويلسن) عام ١٩١٩ عضـوا في اللجنـة التي تألفت منه ومن الدكتور (هنري كنك) ومن ثلاثة مستشارين آخرين •

وقد اطلق على هذه اللجنة في حينه اسم (القسم الاميركي من لجنة الانتدابات الدولية في تركية) الا ان الاسم الذي شاع بين الناس اسم (لجنة كنك ـ كراين) •

أما الهـدف من تأليف هـذه اللجنـة فهو سـفرها الى البلاد العربية لاستطلاع رأي شعبها في تقرير مصيره ••• وقد قامت هذه اللجنة بزيارة فلسطين وسـوريا أما العراق فلم تسـطع زيارته لأن سلطات الاحتلال البريطانيـة قد منعتها من ذلك فأضـطرت ان تسـتطلع رأي العراقيين من وراء الحدود •

ثم وضعت اللجنة تقريرها ورفعته الى الرئيس ويلسن مباشرة فلما أذن لها بنشره واذاعته في عام ١٩٢٢ احدثت تلك الاذاعة صدى بعيدا ، اذ جاء وثيقة ذات أهمية بالغة لا سيما بالنسبة للقضية العربية •

فقد حلل هذا التقرير الشعور العربي السائد في الدوائر السياسية العربية بعد الحرب مباشرة فكان تقريرها المحاولة الوحيدة التي بذلها مؤتمر الصلح لمعرفة اماني العرب والتأكد منها محليا •• ومما جاء في هذا التقرير الهام انه دعا الى تقصير مدة الانتداب على البلاد العربية واوصى بمعاملة بلاد العراق على انها قطر واحد والمحافظة على سوريا بضمنها فلسطين مع الاحتفاظ بالحكم الذاتي في لبنان داخل اطار الوحدة السورية ••• وفوق هذا وذاك فأن اللجنة حللت المشكلة الصهيونية وأوصت بلزوم كبح جماح الطموح الصهيوني ، كما اوصت بتحديد هجرة اليهود نهائيا الى فلسطين ونبذ فكرة جعل فلسطين دولة يهودية(١)•

وليس من شك في ان تقريرا منصفا كهذا لا يروق للدول الاستعمارية أو للصهيونية العالمية فلا عجب ان يكون مصيره الاهمال •

اما في البلاد العربية فقد استقبل بالتقدير والاهتمام الكبير ، وأصبح لاعضاء اللجنة لا سيما (المستر كراين) سمعة طيبة لدى الشعب العربي كافة لهذا الموقف النبيل •

وعلى هذا الاساس وعندما رغب المستر جارلس كراين ، في زيارة الاقطار العربية بعد عشر سنوات رحب بمقدمه المخلصون واقيمت على شرفه الحفلات والمآدب التكريمية فلما وصل بغداد يوم ٣-١-١٩٢٩ استقبل استقبالا حافلا وكان من جملة الحفلات التكريمية التي اقيمت لهذا الضيف الاميركي الكريم الحفلة التي اقامتها الشبيبة العراقية في فندق

---

(١) يقظة العرب ـ جورج انطونيوس ترجمة علي حيدر الركابي ـ دمشق ١٩٤٦

كارلتون مساء يوم ١٣-١-١٩٢٩ وهي الحفلة التي انشد فيها الاستاذ محمد باقر الشبيبي تلك القصيدة التي احدثت دويا كبيرا والتي قال مخاطبا الضيف الكبير(١) .

حقا تقوم لك البلاد وتقعد ... وتشيد بأسمك يا وفي وتنشد
هذي البلاد على كآبة حالها ... تشدو بمقدم ضيفها وتغرد
كل البلاد من القيود تحررت ... الا العراق الحر فهو مقيد
واحسرتاه على العراق يسوده ... عهد بموجبه يذل السيد

وبعد ان يخاطب عصبة الامم التي اوكلت أمر العراق الى المستعبد الغاشم الذي راح ينكل بابناء هذا الشعب الآمن يقول :

يا ضيف أين غدت مبادىء ولسن ... قل لي وأين مضى الرئيس المرشد؟؟
جحدوا مباده التي قد آمنت ... كل الشعوب بصدقها فليجحدوا
فنتيجة المستعمرين جميعهم ... في المشرقين تعسف وتشدد

ثم يستعرض وضع العراق آنذاك ويقول :

طف بالعراق من الخليج لنينوى ... واستنطق الملأ الذي يتجرد
فاذا رأيت تقدما وتجددا ... فأنا المعاتب أيها المتجدد
واذا تنهدت النفوس فأنها ... من فرط ما فعل الاسى تتنهد

ثم يعرج على ذكر حقيقة الحكومة العراقية ويقول :

قالوا استقلت في العراق حكومة ... فضحكت اذ قالوا ولم يتأكدوا
أحكومة والاستشارة ربها ؟ ؟ ... أحكومة فيها المشاور يعبد ؟ ؟
المستشار هو الذي شرب الطلا ... فعلام يا هذا الوزير تعربد ؟ ؟
قالوا التحالف قلت مرحى انه ... حق اذا صدق الحليف مؤيد
فانحلف بين حكومة وحكومة ... معناه كل منهما هو سيد

---

(١) نشرت هذه القصيدة كاملة في جريدة الاستقلال يوم ١٤-١-١٩٢٩

أعلى أساس الرق يعقد حلفنا ؟ ؟ وعلى أساس الانتداب يشيد ؟ ؟
هذي يدي للمنقذين امدها ان كان تنفع منقذا هذي اليد ! !

الشبيبي والسير همفريز

اما (السير فرانسيس •هـ•همفريز) الذي سننشر قصيدة للاستاذ محمدباقر الشبيبي نظمها بمناسبة وصوله الى العراق عام ١٩٢٩ فهو المندوب السامي البريطاني الجديد الذي عين خلفا (للسير كلبرت كلايتون) الذي توفى فجأة يوم ١١-٩-١٩٢٩ في بغداد •

وقد كان مفروضا في ذلك التاريخ ان تصدر الحكومة البريطانية تصريحا يرضى اماني العراقين ارضاء جزئيا على الاقل لا سيما بعد ان تولت شؤون الحكم في بريطانيا حكومة حزب العمال •

وعلى هذا الاساس كان الشعب العراقي متلهفا لمعرفة مصيره وعلى أي الاسس ستقام علاقاته مع بريطانيا ولما وصل بغداد (السير هـ• همفريز) بتاريخ ١٠-١٢-١٩٢٩ جعل نصب عينيه وضع المعاهدة العراقية البريطانية الجديدة[1] •

لكنه لم يكد يمضى فترة من الزمن حتى سافر الى سويسرة لحضور اجتماع مجلس العصبة ثم عاد الى العراق في صيف سنة ١٩٣٠ وكان الاستاذ الشيخ محمد باقر الشبيبي في هذا الوقت في لبنان فلما سمع بعودة هذا المندوب السامي البريطاني ، هل يترك هذه الفرصة تمر دون ان ينبه الى ما يتمخض عنه وصوله من دسائس واخطار أم يبادر الى تنبيه الرأي العام بما عرف عنه في مثل هذه المواقف ؟

كلا فها هو ذا يبادر بنشر قصيدة عصماء نشرتها له جريدة (الجهاد)

---

(١) تاريخ الوزارات العراقية ج٣ عبدالرزاق الحسني صيدا ١٩٥٣

البغدادية في عددها الصادر يوم ٨-٨-١٩٣٠ وبتوقيع (فتى العراق) جاعلا عنوانها (حقيبة همفريز)(١) •

أو التصريح البريطاني قال فيها :

هل في حقيبته شيء من الامل ... أم المزيجان من سم ومن عسل ؟
تساءل الناس عن قول يفوه به ... وقد تمر شهور وهو لم يقل
ايبسم الخير لماعاً بمنطقه ... أم يكشف الشر عن انيابه العصل؟
لو كان عند (همفريز) وعصبته ... شيء يسر لأملوه على الملل

* * *

ولما كانت حكومة السيد نوري السعيد قد انهت ابرام المعاهدة العراقية ، البريطانية وهي (معاهدة ١٩٣٠) فقد عبر الشيخ الشبيبي عن رأي الشعب في هذه المعاهدة الجائرة حيث قال :

شلت يد وقعت عمدا معاهدة ... صيغت من الظلم واشتقت من الحيل
صيغت بلندن اطواقا واسورة ... من الحديد وان كانت من الجمل
قالوا عشية خطتها اناملهم ... هذى هي الخطوة الكبرى الى العمل

وهكذا وبنفس هذه الروح الوطنية المتأججة غيرة وحماسة يتوجه الى الشعب وابنائه الاحرار قائلا :

من للبلاد ؟ ؟ الا نفس مشرفة ... كشافة لظلام الحادث الجلل ؟ ؟
ما أكبر الفرق شعب بات متكلا ... على الزمان وشعب غير متكل
شتان هذا يهاب الموت من وكل ... وآخر غير هياب ولا وكل
تأبى العروبة ان تبلى كرامتنا ... وان نعد عداد الشاء والابل

ثم يلتفت الى ضرورة العناية بالجيش وتقويته ليكون المفزع الاخير الذي تفزع اليه الامة فيقول :

---

(١) ونشرت بنفس العنوان والتوقيع في الجزء الثالث من مجلة العرفان الصادر في شهر آب/١٩٣٠

والفوا الجيش افواجا منظمة ملء الفضاء وملء السهل والجبل
اياكمو ان تغضوا من كرامته وتجعلوه حليف اللهو والكسل
أو تجعلوا منه رزقا لا يحل لكم وحرفة لأقتناء الحلي والحلل
وتطمعوا الخصم ان تمتد سلطته فيصبح الجيش مطبوعا على الوجل
خذوا قيادته العليا ولا تدعوا سواكم يتولاها على دخل

الشبيبي والحكم الذاتي

لقد كان الاستاذ الشيخ محمد باقر الشبيبي كما رأينا صريحا جريئا لا سيما في القضايا الوطنية فكيف يكون موقفه عند اعلان نصوص معاهدة ١٩٣٠ ؟

ففي مساء يوم ١٨ تموز ١٩٣٠ سلم ملاحظ مكتب المطبوعات في بغداد مندوبي الصحف المحلية والأجنبية نص تلك المعاهدة ولم تكد هذه الصحف تنشرها في اليوم الثاني حتى أخذت برقيات الاحتجاج تنهال عليها كالسيل من جميع الالوية العراقية وراحت صحف المعارضة تنشر آراء المعارضين من ساسة العراق بشأنها وكان الشيخ محمد باقر الشبيبي طبعا في مقدمة هؤلاء الرجال ، ففي عددها الصادر يوم ١٩ـ١٠ـ١٩٣٠ نشرت له جريدة (الزمان) التي كان يصدرها الاستاذ رفائيل بطي رأيه بالمعاهدة حيث قال (تلكم ثلاثة شهور ونفقات بلغت عشرات الالكاك ونزه وسياحات ومداورات ومناورات ومقابلات خصوصية وولائم سياسية ودعايات طويلة وعريضة واحاديث عجيبة غريبة وغير ذلك مما هو معلوم ومجهول .

كل هذه المهازل المقنعة (بالدستور) انتجت (معاهدة) مثل اخواتها لم تحقق شيئا من اماني البلاد وجاءت في أكثر احكامها مطوية على الرق ومفرغة بقالب الاستعمار فهي على كل حال ثقيلة لا تطاق بل أشد وطأة من أثقل القيود والاغلال .

ان هذه الاغلال التي تشرفت برفضها في ترشيحي الذي اذعته على الامة اشرف الآن مرة ثانية برفضها في هـــذه النبذة ورفض ملاحقها وذيولها من مالية وعسكرية وعدلية وادعو الى معارضة دعاتها ومروجيها والاحتجاج الشديد على عاقديها وتأييد حركة المعارضين الاحرار فقد طفح الكيل وبرح الخفاء » •

ولما كانت وزارة السيد نوري السعيد قد اغلقت الصحف وكمت الافواه وطاردت الاحرار ومنعت الاجتماعات واتبعت سياسة التعسف والارهاب تجاه كل ذلك لم يجد الشيخ محمد باقر الشبيبي بدا من ان ينشر قصيدته التي عنوانها •

(بقية السيف) في مجلة (العرفان) وبتوقيع (فتى العراق) أيضا حيث راح يصف ما آل اليه الحال في العراق فيقول :

هذي البلاد وهـذا حكمها الذاتي فلا يغرنكم لطف العبـــارات
رؤى راؤهـــا فخالوها محققـــة وكيف يؤمن قـــوم بالمنامات ،
ليت البـــلاد التي ثارت مجاهـدة قامت على الهيكل البـالي بثورات

ثم يتذكر والاسى يحز في نفسه ، ما كان عليه العراق من قوة ووحدة في صراعه مع سلطات الاحتلال البريطاني وكيف أصبح ضعيفا يتلاعب بمقدراته حكام شغلوا أنفسهم بمصالحهم الذاتية حيث قال :

كان العراق قويا في ملمتـــه فعاد أضعف قطر في الملمات
ضحى العراق كثيرا في مطامحه واحسرتاه على تلك الضحيات
دم اريق لحفظ العهـــد ضيعه أهل الضياع وأصحاب الجرايات
نتيجة العمل السامي استقل بها من اســتقل بأعمال دنيـــات

مناحة البلاد

ولم يترك الشيخ محمد باقر الشبيبي أية مناسبة تمر دون ان يندد بالسياسة الغاشمة التي فرضت على العراق فرضا حتى وان كانت تلك المناسبة حفلة تأبين أو مأتم حزن ومناحة فها هو ذا في الحفلة التأبينية التي اقيمت بمناسبة أربعين المرحوم السيد عبدالرسول الجلبي في مدرسة المفيد في الكاظمية مساء يوم ١٧-٨-١٩٣٠ يقف ليلقي قصيدة عامرة مطلعها :

يا كوكب العصر الجديد   هل كان برجك في الصعيد ؟؟

* * *

ولكنه بعد ان يتفجع على الفقيد المؤبن يعود الى ذكر مناحة البلاد ومأتم الوطن قائلا :

يا مأتم الوطن الممزق   بالحديد وبالحدود
انا ترقبنا الهلال   يلوح في أفق السعود
واذا المناحة في البلاد   تقام في القصر المشيد

وبعد ان يبكي صديقه ويعرب عن تأثره الشديد بفقده ، يقول :

ابكيك للمجد الصريح   اضيع والماضي المجيد
قد مزقته سياسة   عرفت بتمزيق الجهود
عصفت بالوية الشمال   عواصف الخطر الشديد
وتلاعبت ايدي الدسائس   بالدوائر والجنود
واحسرتاه على الحقوق   اضاعها أهل الحقود
وطن العروبة هل وثقت   بمن اباحك للعقود
باعوا كنوزك بالضئيل   من الوعود وبالزهيد
وتضافر الحلف الجديد   على احتلال من جديد

شاعر الحزن والرثاء

ان من يقف على ما خلف لنا المرحوم الاستاذ الشيخ محمد باقر الشبيبي من قصائد ومقطوعات شعرية ويقرأها حسب اغراضها بأمعان يلمس الاصالة والسمو والاجادة في القصائد التي نظمها راثيا او باكيا من فقدهم من أهله واخوانه أو بعض الشخصيات الادبية اللامعة في البلاد العربية .

ولعل مرد هذه العاطفة الصادقة وسبب هذه المشاعر المتأججة ما كان يحيط بحياته من شعور اليأس والحزن والاسى نتيجة عوامل شتى لأنه كما يقول الاستاذ خالد الدرة (رجل غير سعيد ولا يمكن لمن تجهز بمثل اعصابه ان يكون سعيدا) .

لقد كانت اعصابه ملتهبة كما نوهنا وكانت مخيلته متفجرة واسعة فهو في حالة نفسية خاصة نشأت من عدم تكافؤ رغباته مع الواقع الذي يجد نفسه فيه ، ثم يعزوه الى الواقع الذي يجد فيه وطنه الضعيف الحبيس وهذا الاختلال سبب له اضطراب حياته وانعدام نصيبه من السعادة التي

برجوها ويتوقعها كل انسان لنفسه فكيف اذا ما كان هذا الانسان برهافة حس فقيدنا الباقر[1] ؟ ؟ •

وسنحاول في الصفحات القليلة القادمة عرض صور من تلك الاشعار والقصائد التي نظمها الاستاذ الشبيبي راثيا باكيا •

فرحــة الحــور ••

ولعل من أوائل القصائد التي بدا فيها حزيناً باكيا تلك القصيدة التي نظمهـا في الشـطرة عام ١٩٢١ جوابا لقصيدة (شـمعة العرس) التي بعث بها اليه صديقه الشاعر الشيخ علي الشرقي والتي نظمها بعد فجيعته بوفاة عروسه ليلة الزفاف والتي مطلعها

شمعة العرس ما اجدت التأسى أنت مشبوبة ويطفأ عرسى ••

ولما كانت قصيدة الشيخ علي الشـرقي مليئة بأصدق الاحاسيس والمشاعر فقد كان أثرها كبيرا في نفس الشيخ الشبيبي فما كان منه (حسبما رواه لنا الاستاذ مكي السيد جاسم) الا ان ينظم قصيدة على نفس الروى والقافية يقول فيها :

جلوة العرس ذوبت فيك نفسى أم تجليك في غيابة رمس ؟ ؟
لست ادري وأمس ليس بآت اليومى ابكى اسى أم لأمسى
أي يوميـك لا يهيـج حزنى يوم وادوك أم صبيحة عرس
كيف انساك والمصاب جديد في لداتي وفي مرابع انسى

* * *

ثم يقول :

هبطت للثرى ملاكـا جميـلا كيفضم الثرى ملائك قدس ؟

---

(١) مجلة الوادي العدد (١٥) بغداد ١٨ـ٦ـ١٩٦٠

غاض ماء الصبا فعاد هشيما غصنها الغض في ذبول ويبس
هصر الموت قدهـا وهو غض وذوى ورد خدهـا دون لمس
عمر بدر السما شبابا ولطفا في سنين مررن تسع وخمس
حملت نعشها اكف العذارى حاسرات ما بين فصح وخرس
ابدلوها منصة من تراب رب لحد اضحى منصة عرس ،

* * *

القمر يغيب ...

ويحلق الشيخ محمد باقر الشبيبي في قصيدته التي رثى بها أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقي والتي القاها في الحفلة التأبينية التي اقيمت بدار المعلمين في بغداد عام ١٩٣٣ حيث قال :

عجيب ان يغيبك التراب ودونك أيها القمر السحاب
فليت الحامليك دروا يقينا بمن ذهبوا هناك وكيف آبوا
سروا يتخبطون وأنت نور وقد تاهوا وأنت لهم شهاب
تدافعت الصدور على سرير تقبله المناكب والرقاب
وحلق في السماء وما درينا أنعش حين حلق أم عقاب
مصائبنا اذا عددت شتى وأعظم ما دهى هـذا المصاب
فما اضطربت بلاد أبيك .. الا وفي ارجائنا وقع اضطراب
اراك سكنت يا بحر القوافي فأين هدير موجك والعباب
نظمت فكل رائعة سيوف وقلت فكل قافية حراب
اذا حضر الالوف ولست فيهم فلا عدد هناك ولا نصاب
أأحمد شبهوك بشكسبير ولو عكسوا لقلت اذن اصابوا
فأنت وان اتيت لنا أخيرا لشعرك فيه آيات عجاب

في ماتم الرجولة والوطنية

ولما توفى المرحوم حافظ ابراهيم شاعر النيل نظم الشيخ الشبيبي قصيدة قال فيها :

تعذر ان يوبنك البيـــان فقل لي كيف ينطلق اللسان
خلا النادى فليس هناك وحي ولا سـور يرتلها الزمان
طوى في بردتيك الموت معنى لــه في كل قافية مكان
نعاين فيـك اخلاقا حسانا لنا رويت فصدقهـا العيان
فمن للشعر ترسله مقفى لينشـــد أو تلحنه القيان
محاسن من عيون الشعر تجلى كما تجلى العرائس والحسان
نطالعهـا ســوافر رائعات منظمة كمـا انتظم الجمان
ترن بمسمع الدنيا قواف يزينهـا اتساق واتزان
يصون الشعب في غرر القوافى وكم شـعب بقافية يصـان
كرائم ما عثرن وهـل عثار يفاجئها وفي يده العنـان

ثم يختتم قصيدته قائلا :

الاقلم تطـاعن فيه مصر اعاديها اذا جـد الطعان
الامن يصلت الآراء بيضـا ليؤخـذ من مناصلها الامان

* * *

عواطف الوفـاء !!

وهذه العواطف بدت جليـة فياضة في قصيدته التي رثى بهـا صديقـه المرحوم الاستاذ محمد زكي رئيس المجلس النيابي الاسبق عام ١٩٣٧ حيث قال فيها :

رجوت اهني جيله في شـفائه فكيف ومـا قولي اذن في رثائه

شكا داءه المضني فاحسست انه سيقضي على حكم القضاء بدائه من الميت مبكيا عليه من الذي طواه الردى في مستهل ارتقائه

الى ان يقول :

فيا أيها الموت الذي لف برده أتدري بما في برده وردائه
فتى مثل نوار الاقاح شبابه وكالطل في لألائه وصفائه
اضاء لنا وجه الحياة وآذنت عواصف ليل مظلم بانطفائه
سأذكره عند الاصيل وفي الضحى واندبه في صبحه ومسائه
أخ لي مثل النور صفحة وده ومثل بياض الصبح لون اخائه
سابكي عليه ما حييت بمهجتي اذا سلمت لي مهجة في بكائه

الى ان يقول :

سانظم احزاني عليه قصيدة وانشدها مفجوعة في رثائه
فمن أين للوادي ربيع كورده ومن أين للنادي هدى كضيائه
فقدناه ملء العين والقلب طلعة وملء النهى في رأيه ومضائه

* * *

في ذمة الخلود !!

ويتفجر قلب الشيخ محمد باقر الشبيبي حسرة وتفجعا عندماتنتقل أمه العزيزة الى رحمة الله ، فيعبر عما في نفسه من لواعج الحزن والاسى بهذه القصيدة التي يقول فيها :

هذا سريرك لكن أين مثواك ؟ وأين أنت وماذا في مصلاك ؟
مناحة شقت الاجواء وانطلقت تبكيك للملأ الاعلى وتنعاك
ونكبة تركتنا في محافلنا ما بين باكية العينين أو باك

ثم يقول :

اماه اينك عند الصبح مشرقة يفيض بشرا على الدنيا محياك
فلا الصباح صباح عند رؤيته ولا النسيم نسيم دون رياك
أم الفضائل اخلاقا وتربية بوركت خالدة فينا سجاياك
قبلت كفيك اجلالا فروعني ان لا تقبل للتوديع كفاك
وان أسعد ايامي وايمنها يوم انال به تقبيل يمناك

ثم يقول :

انا فقدنا بك الدنيا مباركة لله أية أم قد فقدناك
ما انفك ثغرك عند الموت مبتسما كأنما الموت عيد حين وافاك
يا شعلة النور والآفاق مظلمة من ألهب الحزن في الدنيا واطفاك
الله صاغك من آياته مثلا ومن معانيه اوحى الله معناك
هذى وصاياك في الآداب ناطقة بان أصدق مأثور وصاياك
مجموعة من معاني النفس خالدة تبدو ممثلة فيها مزاياك

* * *

اليتيمة !!

وكانت قصيدته التي انشدها في نادي القلم العراقي رائيا بها المغفور له والده الذي توفاه الله في صيف عام ١٩٤٤ من غرر الشعر فقد حوت أصدق الاحاسيس وأعمق المشاعر حيث قال :

اذكراك ام هذي القيامة والحشر فديناك هل أنت الفقيد ام الذكر
ابي كيف استوحي الرثاء مفكرا فمعذرة ان خانني الوحي والفكر
يقولون أبنه بشعرك انه يلذ له من فيك ان ينشد الشعر
سأنشده من مقلتي قصيدة برغم القوافي انها ادمع حمر

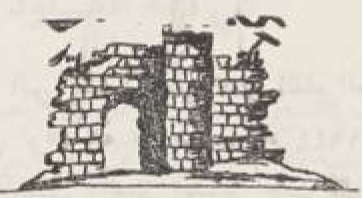
واسكب احشائي عليه من الاسى   نشيدا واحشائي اذا سكبت جمر
دعاني واسماني فقبلت ثغره   وودع بالايماء وابتسم الثغر

الى ان يقول :

طوى الموت من نهج البلاغة صفحة   بها طوي الابداع والادب البكر
طواه الردى جيلا اغر وأمة   وميراث هذا الجيل آثاره الغر
تلاقت به كل العصور مدلة   ففي قلبه من كل ناحية عصر
حمى لغة الأجداد ثم اذاعها   سوانح اطراها وكرمها النشر
وأودعها من روحه ومزاجه   معاني قالت للعقول انا الخمر

ثم يقول مخاطبا اباه عليه رحمة الله :

ابي أنت انشأت الحياة فليتها   تعود وفي آفاقها يطلع الفجر
ابي أنت ميراث العراق وذخره   اذا ذكر الميراث أو حفظ الذكر
وعى ذمة الاجيال صدرك واسعا   ففي ذمة التاريخ ما ضمه الصدر !!





العربي الاصيل

لقد كشفت لنا الابحاث السابقة عن المعالم البارزة من شخصية الشيخ محمد باقر الشبيبي ، فعرفناه كما رأينا ثائرا في مقدمة ثوار العراق على الاتراك والانكليز وجلاوزتهم واذنابهم وعرفناه وطنياً غيورا لا يرضى لامته غير الحرية والسعادة والهناء ، وعرفناه نائبا جريئا وبرلمانياً صريحاً لايخشى في الحق لومة لائم ، وعرفناه كاتبا سياسيا لامعا وشاعرا وطنياً صادقاً ! !

ولكننا سنقدم في هذا البحث نماذج تكشف لنا عن روحه القومي ومَشاعره الصادقة نحو أمته العربية وعن دعواته الخالصة لوحدة هذه الامة الكريمة منذ ان كانت هذه الدعوة حلما من الاحلام الجميلة التي تراود اذهان المخلصين امثاله .

وليس غريبا على الشيخ محمد باقر الشبيبي ذلك العربي الاصيل

الذي تمتد جذوره الى قبيلة بني أسد العربية المشهورة ان يبدو في ما ترك من آثار أدبية رائعة ومواقف سياسية خالدة ، ذلك القومي الحر والعربي الكريم الذي يأبى على أمته الضيم والذل والهوان ، ولا عجب بعد ذاك ان نراه مدافعا عن حقوق ابناء العروبة اينما كانوا في بقاع الارض ذلك الدفاع الحار ، وها نحن أولاء نقدم للقارىء الكريم نماذج من تلك المواقف والآثار .

الشبيبي وعرب الاهواز !!

كانت مشكلة (عرب الاهواز) أو منطقة (عربستان) ، المنطقة التي يقطنها اخواننا العرب منذ مئات السنين من أهم المشاكل المعقدة القائمة بين حكومة العراق والحكومة الايرانية عندما وقف الشيخ محمد باقر الشبيبي في المجلس النيابي وفي جلسته المنعقدة يوم ٢٣-٢-١٩٣٦ يتحدث عن هذه المشكلة بما عرف عنه من جرأة وصراحة ، ويطالب الحكومة الايرانية بالتزام جانب الحق والعدالة على الاقل في معاملة اخوانه العرب القاطنين في تلك المنطقة ويقول مخاطبا رئيس الوزراء[١] « أرى من المستحسن ان أشير الى قضية الاهواز ، أو بالاحرى قضية عرب الاهواز !

من المعلوم ان الاهواز الى زمن قريب كانت تدعى (امارة عربية) لان أكثرية سكانها من العرب واذا امعنا النظر في التاريخ ، وجدنا ان هؤلاء العرب هم بقية الفاتحين فهم اذن من مفاخر هذه الامة العربية ، ولكن الحدود الوهمية فصلتهم عن اخوانهم وجعلتهم من رعايا حكومة الجارة العزيزة ايران !

انا لا أريد ان انكر حق الجارة المحترمة في هذه الامارة بالنظر الى

---

(١) هو المرحوم السيد ياسين الهاشمي

تلك الحدود ! ! ولكني انكر عليها ان تعامل هؤلاء العرب معاملة لاتنطبق على عاداتهم واخلاقهم وتقاليدهم ! فالمعاملة التي يعاملون بها على ما بلغنا ونسمع ، بعيدة عن العدل والانصاف ! !

ويزعجنا جدا ان تستهدف ايران سياسة المستعمرين وان تنهج نهجهم في اذية العرب ، لاننا نجتمع معها في كثير من الاعتبارات ، فنحن نطالبها باسم الجوار وباسم هذه الاعتبارات ان لا تجرح عواطف العرب ! ! وان تفكر في المصائب التي تجمعنا كشرقيين ! ! » .

ما أوضح الوحدة ..

وكان الشيخ محمد باقر الشبيبي في مختلف أقواله وخطبه واشعاره في مقدمة الهاتفين لوحدة الامة العربية والداعين بأخلاص لتوحيد كلمتها ولم شملها تحت راية واحدة ، منذ ان شارك في ثورة العشرين حتى توفاه الله ، ولم يكن يغفل الدعوة لها والمناداة بها حتى في ابعد المواقف ارتباطاً بها .

ومهما يكن من شيء فأن ما جاء في قصيدته العامرة التي نظمها بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور ألف عام على وفاة شاعر العرب الاكبر (المتنبي) وقيام دمشق بذلك الاحتفال العظيم ، خير مثال على مشاعره القومية ودعوته للوحدة العربية حيث يقول :

حق على الكوفة تسبق الطلب ... وتستعيد بالمساعي ما ذهب
ما انفردت جلق في تكريمها ... مذ نهضت سابقة لما وجب
فالنسب العريق ذلك النسب ... والسبب الوثيق ذلك السبب
فقل لهم : بغداد أخت جلق ... وقل لهم (أم الربيعين)[1] حلب

---

(١) هي مدينة الموصل

ولا تقل قطران قد تجاورا　　بل أسرة يجمعها جد وأب

الى ان يقول :

يا ناشد الوحدة ما اوضحها　　في وحدة الدم ووحدة النسب
هذا أبو الطيب حي خالد　　ما مات من أسس دولة الا دب
حسب الحكيم انه من أمة　　قد خصها الله بواضح الحسب

* * *

العراق ومصر ..

اما حبه لمصر وتعشقه لمبادىء حزب الوفد المصري الذي كان يتزعمه المغفور له سعد زغلول ومن بعده مصطفى النحاس فقد كان معروفا عنه لدى جميع المتصلين به من ادباء مصر والعراق وسياسيهم[١] فها هو ذا في قصيدته التي رثى بها أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقي قال في أحد مقاطعها :

قسما بالوفد يا سعد وما　　يحمل الوفدي من مجد وفخر
نحن شعب واحد في وطن　　لم تفرقه (عراقي) و (مصري)
نسب ما بيننا متصل　　وصلات لم تشب يوما بنكر
دجلة كالنيل في نكبتها　　أي ومسعاك وبغداد كمصر
ذهب الساسة في اوطاننا　　مذهبا قام على كيد ومكر
وضعوها خططا مسمومة　　واضافوها الى زيد وعمرو
حسبنا يا سعد في اوطاننا　　اننا نشكو من الوضع المضر ..

---

(١) لقد افردنا بحثا خاصا بموضوع (ابو كلثوم الوفدى) فليرجع اليه القارىء

الشبيبي والاوطان العربية

وهكذا كان رحمه الله في كل أدوار حياته في مقدمة شعراء العروبة اندفاعا وحماسة في هذا السبيل القومي النبيل ولم يكن ينسى هذه الدعوة أو يفتر في نفسه هذا الشعور حتى في ساعات الحزن والاسى ، فها هو ذا في قصيدة الرائعة التي تفجر فيها حزنا والما بمناسبة وفاة المغفور له والده ، يسجل لنا اماني والده في استقلال الاوطان العربية والتي هي امانيه طبعا فيقول مسجلا بكل حسرة وألم ما وصلت اليه الحالة السياسية فيها :

غدت هذه الاوطان وهي مهيضة
تخبط يعروها من اليأس ما يعرو
دعوت لها ان تستقل بأمرها
وتصبح لا نهي عليها ولا أمر
وحذرتها ان تستباح طليقة
وان يتولاها ليرهقها الأسر
منى لك شاءت ان تنال حقوقها
دمشق وان تحظى بآمالها مصر
وكنت اذا مرت بلبنان هزة
هتفت ليحيا الارز وليسلم الثغر
مواطن يؤذينا تفرق شملها
ويزعجنا شطر هنا وهنا شطر
تقربنا من بعضنا وتلفنا
وشائج من عمر الزمان لها عمر

وما فصـــلت بـين القلوب حواجز

اقيمت ولم يقـدر على فصلها البحر

اذا بذروا البغضاء جاء حصـــادهم

هشـيما فمـا اجدى ولا نفع البذر

* * *

وبعد فهذا غيض من فيض من هذه المشاعر العربية الصادقة والاحاسيس القومية النبيلة استخرجناها من صفحات حياة هذا المجاهد العربي في شتى المواقف والمناسبات وهي على كل حال مواقف وطنية قومية مشرقة ...



الأديب المجدد والمفكر الحر

ونظرا لتعدد الجوانب المشرقة من صفحات حياة الاستاذ المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي فأن الامانة في البحث تحتم علينا ان نكشف للقارىء الكريم عن ذلك الجانب الذي يبرزه اديبا مجددا ومفكراً حرا له في جميع ما كتب أو بحث أو رد أو علق هدف عام وغاية مثلى ، فقد كان رحمه الله ذا رسالة اصلاحية وطنية شريفة .

وما دمنا في صدد التحدث عن هذه الصفحة المشرقة لابد لنا من ان ننقل هنا تلك الصورة التي رسمها له الكاتب العراقي المعروف الاستاذ خالد الدرة في مجلته(١) حيث قال :

« والشبيبي هذا عبارة عن كتلة من الاعصاب الشديدة الحساسية تدب على الارض لا شيء سواها وهو من أجل ذلك فريد بين الادباء وحري بالدراسة العميقة لا بين الادباء العرب فحسب بل بين ادباء العالم أجمع وهو بنظري صورة مصغرة من جمال الدين الافغاني ، وقد كانت

---

(١) الوادي العدد (١٥) الصادر يوم ١٨ـ٦ـ١٩٦٠

رسالته الوطنية الادبية المتواضعة ان ينطلق من منبته النجف الاشرف الى عاصمة العراق بغداد بينما كانت رسالة جمال الدين الاصلاحية الاسلامية الشاملة الطموحة من قطره الافغان الى سائر بلاد الشرق وتعم شهرته العالم أجمع فترك بذلك أكبر وأعم فائدة ولا ابخس بهذا القول شيئا من قيمة الشيخ باقر فقد كانت صحته البدنية لا تؤهله للاضطلاع بدور الشيخ الافغاني » .

بينما راح أحد الادباء الذين عاشوا أيام صباهم في النجف الاشرف (وهو الاستاذ محمد شراره)[1] يعطينا صورة عن أهمية الشيخ محمد باقر الشبيبي الادبية وأثره في الحياة العامة منذ بزوغ نجمه في دنيا الادب والاجتماع حيث قال :

« لما كنا نودع الطفولة ، وندق أبواب الربيع في حياة الشباب كان اسم الاستاذ باقر من الاسماء التي تملأ حياتنا بالحيوية وتمدها بالعزم .

لقد كنا يومئذ نشعر بأن الحياة في النجف شبيهة بالماء الراكد وانها بحاجة الى تحويل يبعث فيها الحركة والفوران فأذا اسم الاستاذ باقر يبرز في خلال الاحاديث الادبية . وشعرنا ان التاريخ الجديد يتحرك في هذا الاسم كما يتحرك في الاسماء الاخرى التي تماثله وشعرنا بأن امانينا تتحد في انسان له قيمته الاجتماعية والسياسية والعلمية والادبية » .

ولما كنا في مباحثنا السابقة قد قدمنا نماذج من انتاجه الفكري نظماً ونثرا في مختلف المواقف والمناسبات السياسية والقومية فأننا سنقدم في هذا البحث نموذجين من كتاباته التاريخية والاجتماعية أولهما يرد به على ما جاء في مذكرات (المس بل) من افتئات على التاريخ والحق وثانيهما يبين اراءه في كيفية النهوض بالعراق نهضة شاملة كما جاء في جوابه على استفتاء مجلة الحاصد البغدادية[2] والى القارىء الكريم هذين النموذجين.

---

(١) جريدة الحضارة ٨ــ٦ــ١٩٦٠

(٢) لصاحبها الاستاذ انور شاؤل في عددها الصادر يوم ١٦ــ١٠ــ١٩٣٠

الشبيبي ورسائل المس بل[1]

عندما قامت جريدة البلاد البغدادية بنشر الترجمة الحرفية (لرسائل المس بل) في شهر كانون الثاني من عام ١٩٣٠ وجد الشيخ محمد باقر الشبيبي في ما جاء بتلك الرسائل كثيرا من المغالطات والدس والافتراء ومخالفة الوقائع فنشرت له الجريدة في باب (معرض الآراء) في عددها الصادر يوم ٢٠-١-١٩٣٠ كلمة في مفتحها بعنوان (حول مذكرات المس بل) وها نحن أولاء ننقل نصها كاملا في أدناه :

« تعد (المس كيرترود بيل) سكرتيرة دار الاعتماد سابقا أو (الخاتون) مس بيل كما يدعوها بعض العراقيين من أوسع المستشرقات علما واغزرهن مادة ومن الجريئات المغامرات جدا بين النساء البريطانيات ، وقد اكسبتها رحلاتها المتعددة في بلادالعرب وما حواليها خبرة واسعة شؤون البلاد المذكورة .. ولا سيما شؤون القبائل والعشائر فدرست عاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم درسا جعل قواد الحملة البريطانية في بدء

---

(١) هي المس كيرترود لوثيان بل ـ الانكليزية المعروفة كانت قد تلقت ثقافتها في جامعة اكسفورد وتعلمت مبادىء العربية ، تجولت قبل الحرب العالمية الاولى في سورية ونجد والعراق وغير ذلك فدونت اخبارها في كتابيها المشهورين وهما (عمورية الى عمورية) و (رسائل بل) وكذلك بكتاب (سورية البادية والمعمورة) الخ ..

الحقت عند اندلاع نيران الحرب العالمية الاولى بالحملة العراقية التي فتحت العراق ثم عينت لاول مرة في البصرة بتاريخ ٢٦-٦-١٩١٦ وانتقلت مع دائرة المكتب السياسي بمعية (السير برسي كوكس) الى بغداد حيث بقيت تقوم بمهمة خاصة في (دائرة الشؤون العربية) حتى تاسست دائرة المندوب السامي فعينت بوظيفة (السكرتير الشرقي) فيها وظلت كذلك حتى يوم وفاتها في بغداد بتاريخ ١٢-٢-١٩٢٦

الاحتلال يعولون على ارائها في هذا الشأن ولكنها على كل حال لا تخرج عن كونها (امرأة) وان اختلطت بالرجال وعاشرت طبقة خاصة من الناس واتصلت بفئة من اقطاب السياسة وقواد الجيش •• فالعاطفة النسائية والعقل النسائي والخلق الانائي أمور بارزة لا يغيرها الاختلاف على نوادي الرجال والجلوس في مجالسهم والتحدث معهم •

فالخاتون (مس بل) على رغم التركيب النسوي الخاص وعلى رغم تكوين المزاج النفسي في المرأة شذت عن هذه الاخلاق والصفات فدست نفسها في السياسة وكونت لها مقاما خاصا بها ، ابان الاحتلال يوم كانت الادارة الاحتلالية فقيرة الى عنصر من هذا القبيل •

ولما أستقر المحتلون في بغداد وسائر البلاد وكانت (فقيدة الحملة الانكليزية) هي الوحيدة التي تمكنت من غشيان الدور ودخول القصور والاتصال حتى بربات الخدور مما اهاب بها ان تطلع على خبايا لم يكن الاطلاع عليها سهلا •

وقد توصلت بهذه الوسائل الى درس شيء من حالة المجتمع العراقي في حواضره فأضافت ذلك الى معلوماتها السابقة عن البادية فأصبحت (سكرتيرة دار الاعتماد) لها دائرة خاصة تقابل فيها من شاءت من مختلف الطبقات وشتى الاشخاص والشخصيات وتمكنت من التحدث كثيرا الى احرار البلاد وطلاب الحرية والاستقلال والى اضدادهم وخصومهم من الانتدابيين والضعفاء •

وعلى كل حال أصبحت سكرتيرة (دار الاعتماد) ومن المعقول والحالة هذه ان تدون مذكراتها الخاصة (عن الاشخاص والحوادث في العراق) الا انها بحكم وظيفتها وبحكم نشاطها الغريزي العجيب مشردة الفكر والحواس كثيرة الاعمال فلم تستطع تدوين مذكراتها الخاصة وانما ادمجت افكارها في هذا الشأن ضمن الكتب والرسائل التي ارسلت بها الى

أهلها وذويها ، وقد طبعت هذه بعد وفاتها بشكل رسائل ، احسنت هذه الجريدة بنقلها وأسدت بذلك خدمة للعراق والعراقيين ...

تتبعت مذكرات (مس بل) فرأيت فيها من التهافت والتحامل والافتئات ما لا يجوز السكوت عنه والصبر عليه اذ انها كانت تصف عشاق مبادئها وحملة نزعاتها بالكفاية والمقدرة وتخلع عليهم ما تخلع من الالقاب والصفات التي ما كان للقوم في أكثرها نصيب .

اما الذين ينظرون اليها والى دائرتها وأعمالها نظرا مملوءاً بالشبه والشكوك ، فقد صورتهم ومثلتهم كما شاءت لها الاهواء السياسية والاغراض الاستعمارية وكان طبيعيا ان تحمل على جمهور العراقيين وعلى مشاهير العراق وأركان الاستقلال ودعائم حكومته الذين قامت على سواعدهم الاوضاع الوطنية الحاضرة فأذا استعرضت رجلا من هؤلاء الافذاذ فأنك تجدها ازاء خصومة غير شريفة ، وحيال عداوة مكشوفة فلا تستطيع ان تكظم غيظها وتكتم حقدها ...

وهل تستطيع (امرأة) مثل صاحبة المذكرات ان تثني على أمة قاومت الاستعمار وأساليب المستعمرين أو تطرى قوما ضحوا بنفوسهم وأموالهم في سبيل الحرية والاستقلال . لذلك لا نستكثر على (مس بل) ان تملأ مذكراتها بالطعون على رجال التضحية والشهامة والبطولة وتفترى عليهم ما تشاء بينما تكيل المديح جزافا الى اناس لم يكونوا لا في العير ولا في النفير وبذلك وضعت علنا في مذكراتها أسس التفرقة وبذرت بذور الفتنة وصدعت الوحدة العراقية صدعا نرى اثاره على ايدي تلامذتها واصدقائها الاوفياء الى اليوم ...

وما أكثر ما ورد في مذكراتها ذكر (الشيعة) و (السنة) وقد حملها دافع التفريق بين العراقيين على الغض من (الشيعة) كلما تعرضت لذكرهم ، وجدير بالشيعة ان يفتخروا بخصومة هذه المرأة . لأنها كشفت

عما يحملونه في نفوسهم من الاباء والشرف والتصلب ولأنها لم تستطع ان تغمز محبتهم لبلادهم أو تنال من مبادئهم ومفاداتهم وعلى احرار العراق عامة والشيعة منهم خاصة ان يغتبطوا بخلو (مذكرات مس بل) من مديحهم فما كان المديح منها الا تعريضا بهم ونيلا منهم .

ومن مبادئهم السامية ومواقفهم المشرفة ، ولو قدر لها ان ينطلي سحرها على بعض هؤلاء الرجال لرأيتها تحرق البخور ولكنها حبطت أعمالها في استدراجهم فكان سلاحها الغض منهم مما دلنا على قيمة مذكراتها وانها مذكرات أملتها عواطف (انثى) لا عواطف رجل من الرجال .

ومن مناكير (مس بل) انها عرضت بالمجتهدين وافتأت على العلماء الروحانيين واتهمتهم بأنهم اعداء الملك فيصل واستدلت على عداوتهم بأنهم لم يبايعوه عند التصويت العام . وهذه كذبة شنيعة يضحك على صاحبتها الناس والتاريخ . . فأن العلماء والمجتهدين أول من بايع جلالة الملك فيصل على (شرائط) تعرفها هذه العجوز أكثر من غيرها ولعلها نسيت كيف بايع المرحوم (الخالصي) وفي أي (مرقد) وقعت تلك البيعة ..

ولا ندري كيف جاز لها ان تكذب على التاريخ وهي عالمة بأن التاريخ يحفظ في صدره كل (دخائل السياسة) ونحن وان كنا نعلم حق العلم بأنها تكره احرار العراق لأنهم يطلبون الاستقلال التام لكننا لا نعلم لماذا تكذب على المجتهدين وتنكر مواقفهم التاريخية لا سيما وهي مطلعة على نصوص الكتب التي تضمنت أسباب البيعة وشرائطها ..

فهل من المعقول ان (المس بل) لم تطلع على تلك البيعة ؟ مع انها محفوظة في (حقائب الملك الجليل) وقد حملها يومئذ من النجف الاشرف وفد مؤلف من مشاهير رجال العراق واقطاب الاستقلال ..

لقد وددت ان تكون صاحبة المذكرات حية لتقرأ هذه الكلمة وتفهم

انها لم تكتب رسائلها المغرضة خدمة للتاريخ بل تشفياً من العراق وانتقاما من الذين وضعوا أسس الحكومة الحاضرة وان ما دبرته هي واعوانها وما وضعته من خطط الاستبداد والاستثناء أصبح على جرف هار ، فهل يفهمون ؟ ؟

كيف ينهض العراق ؟؟

ولما كان الشيخ محمد باقر الشبيبي من قادة الفكر وحاملي لواء النهضة الفكرية والاجتماعية في العراق فقد كان من بين السادة الذين وجهت لهم ادارة مجلة الحاصد السؤالين الآتيين ، راغبة في الوقوف على وجهة نظره في كيفية النهوض بالعراق وهذا السؤالان هما :

١ ـ بماذا يجب ان يفكر العراقي للنهوض ببلاده نهضة حقيقية ؟

٢ ـ وبأي الوسائل يسعى لأخراج فكرته الى حيز العمل ؟

وقد تفضل وبعث بجوابه على هذا الاستفتاء فنشرته المجلة بعددها الصادر يوم ١٦ـ١٠ـ١٩٣٠ وها هو ذا نصه كاملا :

رد الاستاذ الشبيبي ..

في التاريخ نهضات شتى وانقلابات كثيرة بدلت خريطة العالم وغيرت نظام المجتمع والانقلابات تهدم وتبنى وتطوى وتنشر وتلف وتفل . فعروش تهوى وتيجان تذوب ومدنيات طوتها الازمان وأمم صاحت فيها الاحقاب واجيال عصفت في جوانبها العصور ..

هكذا يحدثك التاريخ القريب والبعيد ان النهضات أشكال والوان فمنها ما كان سياسيا نقل الحكم من شكل الى شكل ومن يد الى يد ... ومنها ما كان اجتماعيا قضى على نظم مطردة وتقاليد مزمنة ..

ومنها ما كان أدبياً لطف القابليات وهذب الملكات وبدل طرق التفكير وفك قيود العقل ..

فأذا قلنا في البلاد نهضة فالمقصود مظاهر هذه النهضات الثلاث ...

وفي الشرق نهضة عامة تبشر باطراد التطورفي كل مرافق الحياة وتوذن بأتساق الشرقيين مع الغربيين في موكب واحد ومهما يكن من أمر هذه النهضة فأن عمرها لم يتجاوز أكثر من نصف قرن شيدت اثناءه المدارس وانتشرت المعارف والمعاهد وفي هذه الحقبة جدت أمور وأحوال وأثرت في مزاج الامة الشرقية وأعان على تطور عقليتها ظهور حقائق العلوم الطبيعية والاجتماعية وتنوع أساليب التفكير وتبدل الأوضاع المألوفة والاتصال بأسباب المدنية الغربية فقد كثر الادباء والكتاب والعلماء وزادت جمهرة المتعلمين والمهذبين والمثقفين بشتى الثقافات فتنوعت بذلك عناصر الحرية الفكرية وبواعث الاصلاح والتجديد .

وفي العراق بأعتبار انه جزء من اجزاء الشرق حركة مباركة تلوح بالتحول والانتقال ومبادىء النهضة عامة ولكنها مضطربة محاطة بأسباب الحيرة والأرتباك وهذه الفوضى أمر طبيعي في عصور الانتقال وهي رفيق الامم ابان نهضتها وفي مبدأ يقظتها لذلك يصعب جدا على أبعد الناس نظرا ان ينفذ الى ما في المستقبل ليرى عوامل الرقي أو يتكهن ببعض ما تخفيه الايام من الوان الاحكام .

وكل ما في الامر اننا بدأنا نثور ثورة فكرية والتفكير الحر ركن مهم في كل نهضة سياسية كانت أم اجتماعية واذا قلنا نحن في عصر الانتقال فمعناه اننا في عصر تتهدم فيه الاساليب القديمة لتقوم مقامها الاساليب الجديدة فيجب علينا ونحن في مطلع فجر النهضة ان نتمسك بالاسباب التي تعين على تقويتها ونساعد على اطرادها فنوجد كتابا يفكرون تفكيرا حرا . يعصف بالاوهام العالقة بالاذهان وينسف التقاليد السقيمة .

ومعنى ذلك اننا في حاجة الى حدوث انقلاب عام في مناحي الحياة العراقية ...

والانقلابات العامة ، تشمل ، الثورة الادبية ، فتذهب بكل ما في الاخلاق والعادات من ضعف وفساد .

وتطوى كل ما في النفوس والعقول من جبن وخوف وجمود . .

وتشمل الثورة السياسية ، قلب نظم التشكيلات العتيقة وأصول الحكومات الرثة رأسا على عقب .

فاذا عبرنا هذا الدور كما عبرته بعض الاقطار الشرقية . فاننا نكون حقا قد مهدنا الى نهضة كبرى بجميع الوانها وصورها ، تأتي باحسن النتائج واطيب الثمرات وحينئذ نستطيع ان تتبوأ مكاننا في التاريخ الحديث.

فالحرية الفكرية اذن ـ كما قلنا ـ ركن مهم في بناء النهضة وتكوين الامة فاذا قام شعب بنهضة سياسية لم تشيد على أسس الحرية ، فلا تعيش هذه النهضة بل تكون تمردا يفسد الأمة ويتركها كالريشة في مهب الريح .

ومما لا شك فيه ان الحركة العلمية تعد أهم عناصر النهضات فاذا وجدت هذه جاءت سائر النهضات من سياسية واجتماعية واقتصادية اخذا بعضها برقاب بعض ، فكل نهضة لا تسندها المدرسة لا تلبث ان تزول .

وخلاصة القول ان الأمور التي نفكر فيها لايجاد نهضة صادقة كثيرة جدا . ويجب قبل كل شيء ، ان نتعلم حتى نستطيع مواجهة الانقلابات بطرق جديدة في التفكير والعمل ومن ذلك اعداد الشباب للأقبال على تكاليف الحياة ومشاكلها وتحمل اعبائها الثقيلة فالحياة تتبدل في كل يوم والحضارة مسرعة في طريق الانقلاب .

وفي هذا التغير المحسوس في الافكار والاخلاق والعادات وفي أمور المعيشة ووسائل العمران وفي كل فروع العلم وطرق الفكر والبحث .

ومن مقومات النهضة الحقيقية ان نعهد بشؤون التعليم الى مرب قدير

بتولى فحص الحالة ويضع لاصلاحها العلاج الناجع فان احوج ما يحتاج اليه المشرف على أمور التربية والتعليم هو ، بعد النظر ، وحرية الرأي ، وطول الاناة ، وروح التسامح فاذا تم لنا ذلك فقد استطعنا ان نهدم النفوذ الباطل الذي نشر ظله على جميع مناحي التعليم ، واذا هدمنا النفوذ الباطل فقد تمت تربية العقول والملكات ، وثم تقويم الاخلاق ، وتهذيب النفوس، وعدنا قادرين على ان نضع الأساس لنهضة التعليم القومي باللغة القومية ، على ان ترقية البرامج وأساليب التعليم ونشر المدارس ومحو الأمية ، كل هذه المقاصد ، شروط لابد من توافرها حتى تصبح نهضة التعليم قوية جدا ، وجديرة بالاكبار والاجلال .

هذا ولا يفوتنكم ما للحركة المادية ، كتطور أحوال المعيشة والبواعث الاخرى من أثر في تكوين النهضات . الا أن الحركة الروحية ، تعد بحق مقياس النهضات السامية كحركة التجديد في الشعر والكتابة والفن.

عقيدتي في الأمور التي اشرت اليها في هذه الكلمة الموجزة ، شروط لابد منها . فاذا توافرت في هذه البلاد فقد توفقنا ان تنهض بها نهضة صحيحة ، وان تثبت لها العظمة العلمية والفنية . وحينئذ يتهيأ للعراق ان يتحمل قسطه في بناء الحضارة العالمية وان يشارك جماعة الأمم في العمل على تقدم المدنية .. فهل يسمع المصلحون ..

* * *

وبعد ، فهذا هو الشيخ محمد باقر الشبيبي ، الأديب المفكر والمجدد الحر ، لقد كان[1] انسانا أحب وطنه بأعصابه وقلبه ، وأحب أمته بعقله ولبه ، وأحب الانسانية جمعاء برهافة الشاعر ، ولوعة الأديب واخلاص صاحب الرسالة .. لقد آمن بمثل عليا وهو في ميعة الصبا ونبعة الشباب وتفتح الرجولة ، آمن بها فكرة ضخمة ..

---

(١) من كلمة لصديقه الصحفي الاستاذ صبيح الغافقي نشرها في جريدة الزمان بعددها الصادر يوم ١٠ـ٦ـ١٩٦٠ .

لقد كان جنديا مجهولا ، ناضل من أجل هدف بعيد ، حارب السيطرة العثمانية وحارب الأستعمار البريطاني ، وحارب في الحكم الوطني، كل أنواع الشذوذ ، وهزأ كاتبا وخطيبا بالاوضاع التي تؤخر سير القافلة، ني أدب عميق ، وشعر ينبض بالآلام والآمال ويفصح عما يتطلع اليه ابناء هذا الشعب من السيادة والكمال • وتعشق الدمقراطية نابعة من الشعب ومزجاة من خدمة أهل هذا السواد ومرسلة من حكم صالح لا يستشرى فيه ظلم يغمط فيه حق ، ولا تذوب فيه مصلحة عامة في سبيل نفع خاص•



الشبيبي والمرأة

واذا كنا وقفنا على الجوانب المتعددة التي تبرز لنا المعالم الواضحة من حياة الشيخ محمد باقر الشبيبي ، السياسية والادبية والاجتماعية ، فسنحاول في هذه الصفحات الوقوف على رأيه في المرأة وتعليمها وحريتها ومساواتها بالرجل ، ونستخرج مما خلفه لنا من شعر ، تلك الصور الجميلة التي بدا فيها متيما مستهاما مأخوذا بجمال المرأة وحسنها ودلالها …

وعلى هذا نقول ان الشيخ محمد باقر الشبيبي من أوائل الداعين لتعليم المرأة وانقاذها مما هي فيه من تأخر وجمود ، ليس في العراق فحسب ، بل في البلاد العربية كافة .

واذا كان المرحوم الاستاذ جميل صدقي الزهاوي قد لاقى من جراء مناصرته للمرأة والدعوة الى انصافها ، كل مقاومة وعنت وارهاق ، من قبل الحكومة التركية والاوساط الرجعية المتزمتة عندما نشر مقالته (المرأة وحقوقها في الاسلام) في المؤيد الاسبوعي عام ١٩١١ .

فقد سلم الشبيبي الشاب الا من بعض المضايقات التي لقيها في

محيطه الضيق آنذاك وهو محيط النجف في عام ١٩١٣ ، فقد نشرت له مجلة (لغة العرب) لصاحبها المرحوم الاستاذ انستاس ماري الكرملي ، وفي الجزء العاشر الصادر في شهر نيسان عام ١٩١٣ ، مقالا بعنوان (المرأة المسلمة والتربية) بدا فيه كاتباً اجتماعياً جريئاً ووقف موقف المربي الماهر عندما راح يضع النقاط على الحروف بكل جرأة وصراحة .

ولما كان هذا المقال وما جاء فيه من آراء ، يوضح بجلاء موقف الشيخ محمد باقر الشبيبي من المرأة ،وموقفه من اولئك المتزمتين الذين يضعون العراقيل في سبيل تربيتها والأخذ بيدها الى ما فيه خير البيت والامة والمجتمع فقد آثرنا ان نثبت أهم ما جاء فيه .

المراة المسلمة والتربية

لا ريب في ان المرأة ادرى من الرجل في التفكير بالمستقبل ، وليس المراد بها المرأة العديمة التربية والعلم ، التي يتكون منها دثور البيت لا تعميره ، وضع التعاسة والشقاء في الاولاد لاسعادتهم . . بل نريد المرأة الاديبة صاحبة التربية الحسنة ، ذات الاخلاق الفاضلة .. فهذه المرأة هي التي يجدر بها الالتفات ، هذه هي التي تستحق ان تحل في قلب الرجل، واذا كانت عديمة الاداب والمعرفة منحطة عن مكانة الشرف والانسانية ، فليست هي متمة وظيفتها النسائية ..

وعليه فان كل امرأة ارادت ان تحفظ وظيفتها النسائية يجب عليها درس العلوم والاداب فقد قال (نبي الاسلام) العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ..

ويجب انتباه الابوين الى ذلك لأن الشيء الذي يحط قدر ابنتهما عن حالق ليس الا الجهل ..

ان التهذيب والتربية الصحيحة من الامور الضرورية للأم لان عليها قوام البيت وتربية نشئها الصغار .. فالمرأة العارية عن الاخلاق الجميلة ،

والتربية الحسنة ، كيف يمكنها ان تربي أولادها وهم صغار ، قابلون لان يتخلقوا باخلاق كثيرة وادنى سجية يعتادها الولد ترسخ في الطباعه • • فاذا كان الولد يحفظ خصالا رديئة وتربية فاسدة وقد نشأ وبلغ (درجة الرجولة) فلا يمكن ان تجتث تلك من أصولها وتزول عنه فاذا ترك والحالة هذه ونشأ على تلك العادات الفاسدة والطباع المنحطة • يفسد بفساده المجتمع فينتج من هذا ان تعليم المرأة أمر ضروري أكثر من تعليم الرجل ••

ثم يقول :

« ان الرجل بقطع النظر عن المرأة ، غير كامل •• كما ان المرأة ناقصة بدون الرجل ولا يكمل كل واحد منهما الا اذا اجتمعا ويتقلد كل منهما وظيفته المنوطة به ، بدون اختلاس وظيفة الآخر • •

ان البادي قد أعطى كلا منهما خصائص ومميزات ، وبنى لكل منهما جسما يوافق استعمال وظيفته ••

اعطى الرجل القوة والحماسة والجسارة والاقدام والثبات والوقار والاشغال الطبيعية الشاقة • واعطى المرأة ، اللطف وحركة الافكار والاحساس الدقيق السريع والشعور الحي والحياء وقواها بالاعمال البيتية •

فسعادة الرجل والمرأة ان يشغل كل منهما حيزه بدون اختلاس في الوظائف وتبادل في الاعمال فاذا تبادلا الاعمال والاشغال يحصل الاضطراب ويضمحل البناء ويخرب البيت ••

ثم يقول :

« بناتنا يجب ان يتعلمن تدبير المنزل يجب ان يتعلمن القواعد العربية والتاريخ ، يجب ان يكن ضليعات في اللغات الاجنبية ، فانها تساعد على التربية الصحيحة والاخلاق الفاضلة وتعين على التبصر في الحقيقة •

ان التعليم رابطة طبيعية اذا أهملناها ، اهملنا أنفسنا •• واذا تممناها نكون قد أخذنا بها قوة ندفع بها كيد من يريد كيدنا • فلو فككت هذه

الرابطة وجعلتها في بعد عنك أصبحت كالعدم بالنسبة اليها ، وأنت وكل واحد يعلم ، مقدار ضعف الانسان واحتياجه الى التعليم والتهذيب • • فمن تذكر ضعفه ونقصه علم قيمة التهذيب والتعليم » ••

وهكذا وبعد ان يبين أهمية تعليم المرأة بهذا الاسلوب ، تراه يسفه آراء اولئك الاشخاص الذين كانوا يصرون على بقاء البنات على ما هن عليه من جهل ويقول ••

« لا ينبغي ان نلقى سمعا للذين يقولون (ان بقاء الاولاد وعلى الاخص البنات على هذه الحالة خير وابقى) لا ينبغي ان نلتفت اليه بل ينبغي ان نلقي سمعا الى من يقول (ان بقاء البنات على ما هن عليه الآن ، عثرة في سبيل تقدمهن وارتقائهن عثرة في سبيل مصالحن وتثقيف عقولهن •• عثرة في سبيل كل ما يرفعهن الى مكانة الارتقاء ••) كيف يقول هؤلاء ان هذا التعليم مانع من الترقي •• ياليتهم يأتونا بمثال يصح ان يقال انه مانع من الارتقاء ••

لماذا ينقم البسطاء السذج على البنات المتهذبات ، تهذيبهن ؟ لماذا يسؤوهم ذلك ؟ ولاي شيء ينكرون عليهن التعليم ؟ وأكثر ما حوته الأماكن والاقطار من البنات ، عالمات ومتعلمات • وليس بيننا الا بعض الاقطار الفاسدة العديمة التربية الساقطة الاخلاق المنحطة الطباع التي نبذت التعليم ظهريا وحرمته على البنات بتاتا » ••

وبعد ان يستطرد الاستاذ الشيخ محمد باقر الشبيبي في مقاله مفندا ما علق في اذهان خصوم تعليم المرأة من وساوس واوهام تتعلق بخلق المرأة وعفتها وما الى ذلك يقول •••

« لا يعرف هؤلاء المتشدقون من تاريخ الاسلام شيئا •• هؤلاء نسوا ان للاسلام تاريخا وعلوما يضمن هذه المعاني ويكفل هذه الروح • • لو درسوا حقيقتها لما حادوا عن تلك الجادة المستقيمة ••

نحن لا نقول ان العلم وحده هو العلاج لهذا الداء ، لانا نأتي بكلام غير صريح لايؤيده العقل ، اذن فلنعمل على التربية والعلم •• وان ما نراه من سقوط العائلات وضعف الروابط ، منشؤوه فقدان العمل مع العلم ليس الا • منشؤوه عدم الاهتداء الى الطريق الواضحة ، طريق الخير والصلاح طريق السعادة والنجاح ، ••

وأخيرا ينهي الشيخ الشبيبي (الذي لم يكن عمره آنذاك الا ٢٣ ربيعا) مقاله بنصيحة الابوين قائلا •

« ان من الواجب انتباه الابوين الى تربية اولادهما تربية حسنة • وان يحترزا من وقوع ابنائهما في حبال الجهل المظلم ، وان يعوداهم طهارة الوجدان وصدق اللسان والافعال الحميدة ، فانها هي الجمال الحقيقي • وان لا يقفا عقبات في سبيل ما يصلحهم كما نشاهد مثل ذلك في آباء هذا العهد •• وعسى ان لايدوم هذا المانع ، حبا للدين والوطن والخير العام»•

ان هذه المقالة الجريئة التي نشرها الشيخ محمد باقر الشبيبي منذ أكثر من خمسين عاما تكشف لنا عن الروح التقدمية التي يحملها هذا الكاتب المجدد ، وتنم عن الاتجاهات التربوية والاجتماعية السليمة التي يؤمن بها هذا الاديب المفكر الحر •

هذبوها

ولم يكتف شيخنا رحمه الله في التبشير برأيه بتلك المقالة ، بل استمر في الدعوة لانصاف المرأة وتعليم الفتاة وجعلها أهلا لتحمل مسؤولياتها في هذه الحياة •

فقد نشر في مجلة (العرفان) الصيداوية بعددها الصادر بشهر آذار من عام ١٩٣٠ ، قصيدة بعنوان (هذبوها) وكان قد ذيلها بتوقيعه المعروف (فراتي) وقد كتب الى صاحب المجلة وهو يستميحه عذرا في

نشرها يقول « عفوا يا صاحب العرفان ، فان قصيدتي هذي اجتماعية وليست دينية • واذا اكون من الوجهة الدينية (حجابيا) على ما تريد فما عليك ان اكون من الوجهة الاجتماعة (سفوريا) على ما أريد » ••

ونظرا لما جاء في تلك القصيدة من دعوة صريحة لتعليم المرأة ومن صرخات لانقاذها مما هي فيه من جهل وجمود فها نحن اولاء ننشر في ادناه مقطوعات منها ••• قال :

هذبوهـا فانهـا بشر لكمال الحيـاة تفتقر
النواميس بينكم شـرع فهي انثى وآخـر ذكر
ألكي تستحيل حامضة في زوايا البيوت تدخر ؟

ثم يقول :

وأدوهـا وحقهـا غمطوا
ربي رحمـاك انهم كفـروا
زعمـوا انهـم بذا ربحوا
لا وعينيـك انهم خسـروا
اهملوهـا وأي مدرسـة
اهملوهـا لو أنهم شعروا
مشـعر الطفل من مشاعرها
ولأحسـاسها بـه أثـر

ثم يقول :

أنظـروا المرأة التي سـلفت
كيف أعلى مقامهـا الأول
فهي تأتي عكـاظ نابغـة
وهي في الحرب فارس بطـل
وهي في بيتهـا لأشبلها
مرأة وفي اللقـا رجـل

شــاركت زوجها بمكسـبها
فهو يمتـار وهي تشـتغل
قيدوهـا بشـر سلسلة
ثم قالـوا بعقلهـا خلل
ويلكم لا ربحتمـوا أبدا
كيف تمشي ودربهـا وحل ؟ ؟

وبعد ان يصف حال المرأة في بلاده يقول :

كيف ترجو نجاحها فئة
كللتهـا البرود والسجف ؟
من وراء الحجاب نسـوتها
تهـادى كأنهـا تحف
كلمـا ابصـرت على كثب
شـبحا للجـديد ترتجف
تتحرى اسـتقلال أمتهـا
اخسـأوا ان ذلكم صلف
كم حصـان تروح سـافرة
بالحيـا والعفـاف تلتحف
وعلى العكس مومس خطـرت
وعليهـا الـدثار والقطف
لا تخالوا الحجاب يمنعهـا
(لو ارادت) فذلكم سـخف

ثم ينهي هذه القصيدة الاجتماعية الرائعة قائلا :

أين قحطـان عن كريمتـه
أين مـن للمظـلوم ينتصف
لو بوسـعي نشـرت أعظمه
فلقـد ضاع بيننـا النصف

وطني واصل الجهاد فقد
يتشظى عن دره الصدف
دنت الساعة التي استعرت
بلظاها بغداد والنجف

الشبيبي واول الطريق

ولما أصدرت الاستاذة صبيحة الشيخ داود ، كتابها الموسوم ب (أول الطريق) عام ١٩٥٨ ، أهدت نسخة من كتابها هذا الى الشيخ محمد باقر باعتباره من اوائل مناصري المرأة وفي مقدمة الداعين لتهذيبها وازالة العقبات عن طريقها ، فلما أتم مطالعة هذا الكتاب الذي يستعرض مراحل تطور الحركة النسوية في العراق بعث لمؤلفته بالرسالة الآتي نصها :ـ

عزيزتي الحقوقية المهذبة

الاستاذة صبيحة الشيخ داود المحترمة

تحية واعجابا وبعد ، فقد رأيتك ـ أول ما رأيتك ـ (في أول الطريق) وأنت أما راكبة على ناقة تمثلين شجاعة الخنساء وأدب الخنساء ومشاعر العربية الاصيلة واحاسيسها المرهفة .. واما راكعة أمام البيانو تعزفين نغم الحرية في أفق تغمره تقاليد الماضي وتشيع فيه المخاوف والاوهام ..

فكنت العراقية الاولى في جيلك الزاحف ، وكنت العراقية الهازئة بالمكائد والاراجيف . وهكذا رأيتك في الحقبة الاولى من عمر هذا الكيان صبية واعية وفتاة جريئة ، وقد وقف يومئذ صاحب (العروسة)[1] يحي هذا الشاطيء الحالم بالذكريات الحلوة والاماني المشرقة ، ويستجلى فجر

---

(١) مجلة كانت تصدر في مصر .

النهضة المباركة ، فكان مبهورا بالحياة الدافقة ومسحورا بالحرية الحمراء .

ثم حيتك تلك الحقبة أول فتاة تغلبت على الرجعية وانتصرت على الجمود .

اما وقد عبرنا جميعا جميع هذه الانقلابات وهضمنا اعراضها ومضاعفاتها وأدركنا ما فيها من علل وأسرار .

اما وقد مرت تلك الفترة بما فيها من طوارىء واحداث فاني أعود مرة اخرى لاجدد التبريك واجدد التحية والاعجاب ، فتقبلي مني ، وأنت في هذا العقد من العمر الضاحك تهانيء رجل تنكرت له الدكتاتورية الرابضة وهو صبي ، وحارب الانانية العارية وهو يافع ، وكافح الطغيان الجائم وهو كهل ، وكان ذلك كله في أول الطريق أيضا ..

اما الآن وكتابك القيم بين يدي ونصب عيني فمن الحق ان أسجل شكري وأسجل اعجابي فتقبلي ذلك وتقدمي موفورة الحشمة والعصمة . وعيشي ملهبة ملهمة ..

بغداد ٤-٤-١٩٥٨ باقر الشبيبي

قلب الشيخ والمراة ..

قدمنا في الصفحات السابقة آراء الشيخ محمد باقر الشبيبي في المرأة وفي ضرورة تهذيبها وتعليمها وعرفناه منها نصيرا قويا للمرأة في ذلك العصر المتزمت الجامد ، بقي علينا بعد هذا ان نسجل له هنا ما عثرنا عليه من مقطوعات شعرية أو قصائد يبدو لنا فيها وهو الشيخ الكريم متغزلا مغرما عاشقا ولكنه عشق وغرام وحب عذري كما هو معروف على كل حال ..

وها نحن اولاء نقدم للقارى الكريم الصور الآتية :ـ

غزلان شارع بغداد

نشرت مجلة العرفان-الصيداوية في الجزء الثاني من سنتها العشرين الصادر في شهر تموز سنة ١٩٣٠ وفي مقال (النكت الشعرية) الخبر الآتي نصه :

(لما حل الشيخ محمد باقر الشبيبي في دمشق راقه شارع بغداد لسعته ونسبته الى بلده ، وراقته غزلان ذلك الشارع يغدون ويتخطران كاسيات عاريات ، فتكهرب من منظرهن الانيق وقدهن الرشيق ، فطلب عطفهن ولم أدر ان كن عطفن أم جمجمن ؟ وهن اولى بالعطف عليه لانهن غزلان شارع بلده وهو أحق بهن ..

قال لافض فوه :

غزلان شارع بغداد يسركم
ان تعرضوا عن غريب جاء مصطافا
تركت الفي ببغداد فهل لكم
ان تعطفوا فتكونوا اليوم ألافا
تحية من شغاف القلب يحملها
هذا النسيم النكم كلما وافى

ملاك المسرح(١)

ثم تأتي فرقة رمسيس الى العراق برئاسة الفنان يوسف وهبي وتمثل على مسارح بغداد مجموعة من الروايات الرائعة ويتألق فيها نجم الممثلة الكبيرة (امينة رزق) وهي لما تزل آنذاك في عنفوان شبابها ، ويحضر الشيخ محمد باقر الشبيبي تلك الحفلات التمثيلية ويعجب (بملاك المسرح) الآنسة امينة رزق واذا بذلك الاعجاب يتمثل بهذه القصيدة العاطفية الرائعة التي يقول فيها :

(١) نشرت في مجلة الخمائل . تشرين الثاني . ١٩٣٨ .

عبقي المسـرح ريا واعيـدي الفن حيـا
وابعثي في الافق المظ لـم اشـراقا قويا
واطلعي في غسق الـ يل هـلالا ذهبيـا
وانيري هـذه الانفـ س من هـذا المحيا
واريني طلعـة الفجر واشـراق الثـريا

* * *

انا آمنت بصـد غيك وما كنت شـقيا
انا اخشى سـحر عيـ نيك وان كان خفيـا
غادة المسـرح لـولا ك أكان الفن حيـا ؟
لا ومن صـاغك للحـ سـن مثـالا معنويا
لا ومن سوى بك المر أة انسـانا سـويا
لا ومن صور في التمـ ثيـل معناك جليـا
عـرب نحـن نحيي فيـك فنـاً عربيا

* * *

عبقي المسـرح بالـز نبق فيـاحـا زكيـا
وابعثي لي روعة السـا حر همسـا ونجيـا
واريني وجـل العـا شق مشـدوهاً حيـا
اشتهي تقبيـل عيـ نيـك صباحا وعشـيا
ان تمثيلك سـلوا ى حزينـا وشـجيا
أنت يا معجـزة ألفن اصبنـاك نبيـا
مـا رأت عينـاى الا ك ملاكـا مسـرحيا
جل من سوى بك المـ سـرح فردوسـا نقيا
اسـمعي انشـودة الحب رويـا فرويـا
انا ان مت سـيبقى حبي الكامن حيـا
آه لو اطبع في المبـ سـم نجوى شفتيـا

يا ظبية الوادي

ومما رواه لنا ابنه الاستاذ صادق الشبيبي ان اباه رحمه الله كثيرا ما كان يتغنى بهـذه المقطوعة الشعرية الحبيبة الى نفسه دون ان يفصح له عن تلك الظبية اذ يقول(١) :

لم احتمـل ابدا جفـاك
يا منيتـي فمتـى أراك ؟
امـا هواي فانـه
يا ظبيـة الوادي هواك
لم اسـهر الليـل الطو
يل لغـاية فيـه سواك
لوحي فقـد غفل الرقـ
يب وقـد تغيب من لحاك

سوانح في الحب والجمال

ونشرت مجلة الاعتدال النجفية لصاحبها الاستاذ محمدعلي البلاغي في عددها الصادر في شهر مايس ١٩٣٣ قصيدة للشيخ بعنوان (سوانح في الحب والجمال) عبر فيها عما في نفسـه لتلك (الحبيبة المجهولة) من لاعج الهم ومشـبوب العاطفـة ، تنشرها كاملة لانهـا تعطى القـاري صورة جميلة من صور ذلك الحب الذي يغذيه العفاف المنزه عما يدنسه من الشهوات .. حيث يقول :

---

(١) نشرتها مجلة الخمائل النجفية بعددهـا الصادر في تشـرين الثاني/ ١٩٣٨ لصاحبها السـيد نوري شمس الدين

هـذا الذي يبـدو على قسماتي
أثر الغرام فمـا تقول وشـاتي
بالله بالحب البـرىء تقبـلي
هـذا الخشـوع على هوى قبلاتي
قالوا الصـلاة فقلت اني عاشق
شتان بين صـلاتهم وصلاتي
هي قبـلتي أنى اتجهت رايتهـا
عندي ممثـلة بست جهـات

* * *

صوني جمالك عن عيوني وأنظري
اني اخـاف عليـك من نظراتي
واذا غمـزتك فالقلوب شـواهد
فانا المشـوق ـ بريشة غمزاتي
كذب الذين تعبـدوك انا الذي
وحدي تعبدت الجمـال الذاتي
رفقـا بقلبي ان يسيل بأدمعي
وتعهـديه لقـد جرت عبراتي
وضعي يديك على ضلوعي واسمعي
خفق الفواد ودقـة النبضـات
بصبابتي بك بالمحبـة بالهـوى
بالشـوق بالحسـرات بالزفرات
لا تسـمعي قيل الوشـاة فانهم
جفت قلوبهم من الرحمـات
واذا تكاثفت الشـكوك فخـاطبي
حركات قلبـك واقرأى حركاتي

أني سمعت شكاة قلبك خافقا
أو ما سمعت ظلامتي وشكاتي
بدمي طلبتك أنت سافكة دمي
افتنكرين شهادة الوجنات ؟ ؟
بيني وبينك في الغرام قرابة
تفدى بكل علائقي وصلاتي
رحماك بالصلة القريبة انها
في الحب تعصمنا من الشبهات
حب يغذيه العفاف منزه
عما يدنسه من الشهوات

خطرت تمايل كالقناة

وأخيرا نسجل هذه المقطوعة التي نشرت له في مجلة العرفان في عددها الصادر في شهر نيسان ١٩٣٠ ، بتوقيع (فراتي) حيث قال :

خطرت تمايل كالقناة
وتلفتت مثل المهاة
هيفاء نادى بالعقو
ل جمالها والزاريات
طارحتها الوجد المهـ
ين فلم تخفف من شكاتي
ومحضتها الشوق الصرا
ح فاعرضت عن بيناتي
يا نفس حسبك ما تريـ
ن من الغواني المعرضات

نامت جمـــالك في الطريـ
ق فاين ترجيـــع الحـــداة
كم ســمتها نهج الصـــلا
ح ويممت ســبل النجـــاة
ودعوتهـــا للارتـــوا
ء من المجـارى الصـــافيات
فصـــدرن دون ورو
دهن من المجارى ضاميات

* * *

وبعد فهـا هو الشـيخ محمـد باقر الشـبيبي وتلك هي اراؤه في تهذيب المرأة وتعليمها وهذه هي مواقفه في نصرتها والدفاع عن حقوقها وأخيرا تلك هي الصور التي بدا لنا فيهـا من المـكتوين بنارهـا المولهين بحسنها وجمالها •• ومهمـا يكن من شيء فانهـا مواقف لطيفـة وصـور جميلة رائعة ••

أبو كلثوم الوفدي

ومن الالقاب التي كان المغفور له الشيخ محمد باقر الشبيبي يعتز بها أشد الاعتزاز ، اللقب الذي كان قد لقبه به ، صديقه الاديب العربي الكبير المغفور له الدكتور زكي مبارك ، الا وهو لقب (أبو كلثوم الوفدي) .

فعندما انتدب الدكتور زكي مبارك للتدريس في دار المعلمين العالية في السنة الدراسية ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ وأصبح خلال تلك السنة على مقربة من صديقه الشيخ محمد باقر الشبيبي ، استطاع ان يلمس صفتين هامتين في نفس هذا الشاعر العربي الكبير الا وهما أولا ، ايمانه الصادق بمبادىء حزب الوفد الذي تزعمه الزعيم الوطني الخالد سعد زغلول ومن بعده السياسي المصري المعروف السيد مصطفى النحاس . وثانيا شغفه وهيامه باغاريد (كوكب الشرق) أم كلثوم ذلك الهيام الذي اعرب عنه بتلك القصيدة الرائعة التي نظمها عند زيارتها الاولى لبغداد عام ١٩٣٢ . تلك القصيدة التي اختلف في تقدير قيمتها الفنية (كما يقول الاستاذ خالد الدرة) الادباء ولكنها مع هذا لا تقل قيمة عن قصائد شعراء العراق

الآخرين الذين أوحت لهم كوكب الشرق واغاريدها المبدعة فنظموا فيها تلك القصائد الجياد ، امثال شاعري العراق الكبيرين الاستاذ معروف الرصافي والاستاذ جميل صدقي الزهاوي •

ومن طريف ما سجله المغفور له الدكتور زكي مبارك ، على صفحات مجلة الرسالة القاهرية ، المقال الذي جعل عنوانه (أبو كلثوم الوفدي) ونشره في عدد المجلة المرقم (٣٣٥) الصادر يوم (٤) ديسمبر عام ١٩٣٩ • ولما كان الدكتور زكي مبارك قد نشر ضمن هذا المقال قصيدتين شهيرتين للشيخ محمد باقر الشبيبي ، هما قصيدته في (أم كلثوم) وقصيدته التي اجاب بها قصيدة الدكتور زكي مبارك التي القاها في نادي القلم العراقي ، فقد آثرنا ان نثبت هذا المقال على هذه الصفحات لظرفه ولطفه وطرافته وها نحن اولاء ننقل في ادناه الجزء المتعلق بشاعرنا الاستاذ محمد باقر الشبيبي أو كما سماه ••

أبو كلثوم الوفدي

قال الدكتور زكي مبارك :

« فقلت ، ومن الخير ان أرجع الى داري لاكتب كلمة عن (ابي كلثوم الوفدى) فقد تذكرته حين رايت في (شبرا) صورة (الصدرية)[1] في وطن الاهل والاحباب •• ان بقي لي في الدنيا أهل وأحباب •

فمن هو أبو كلثوم الوفدي ؟ ؟

هو أبو كلثوم •• لانه مفتون كل الفتون باغاريد أم كلثوم •

وهو وفدي •• لانه حقا وصدقا من اشياع الوفد المصري وهو يهفو ايه كل حين •

(١) اسم لاحدى محلات بغداد القديمة •

فمن هو أبو كلثوم الوفدي ؟ الموزع القلب بين القاهرة وبغداد ؟

هو الاخ العزيز الاستاذ محمد باقر الشبيبي أحد الشعراء المجيدين في العراق •

وما كان باقر الشبيبي أول من فتن باغاريد أم كلثوم • فقد فتن بها الزهاوي والرصافي والبناء • ولهم في الهيام باغانيها قصائد جياد ، وربما جاز القول بان أم كلثوم شغلت جميع شعراء العراق • فمن النادر ان تمر أغانيها هناك بلا تشوف ! !

وقد زاد الاهتمام بأم كلثوم ، عند أهل العراق ، بعد ان عرفوا ان حنجرتها مسروقة من الحمامة الموصلية التي تقيم باحدى نوافذ المنارة الحدباء •

لم يكن باقر الشبيبي أول المفتونين باغاريد أم كلثوم ولكن هيامه بها قد أتصل بنزعة نبيلة هي الجزع من الانشقاق الذي وقع في الوفد سنة ١٩٣٢ وخرج به على الزعامة ثمانية أعضاء •

في تلك الايام ذهبت أم كلثوم لزيارة بغداد فأستقبلها الشاعر بخفقة من القلب والروح وهو يهتف(١) •

أم كلثوم

هلا ايتها الغادة ... تغنى لي على العادة

* * *

تطلعت الى الجو ... وقلبي دائم الخفق
فأبصرتك في السرب ... وشاهدتك في الافق
فمن سواك كالطير ... ومن أنت من الخلق ؟

---

(١) كان الدكتور زكي مبارك قد نشر بعض مقاطع هذه القصيدة ولذلك اثرنا نشرها كاملة في هذا البحث اعماما للفائدة •

أمن عائلــة البلبـل أم من مجمع الورق ؟ ؟

* * *

على الشـاطيء صـيداح هنيئـا لك يا دجلـة
سـاوعى النجم للصبح واحي الليـل في الحفلة
فأهلا ظبيـة النيـل ومرحى جارة الرملـة
وبوركت على السـير وهنئت على الرحلـة

* * *

اذا أمرك الـدل فقـد توجـك الطهر
وان كان لك الكـوخ فقـد عاد لك القصـر
وان قلت بك الشـعر فمن الهامك الشـعر
لك الامر على القـلب وعينيـك لك الامر

* * *

هنيئـا لك بغـداد فهـذى أم كلثـوم
من الغيـد الاعاريب اتتنـا لا مـن الروم
لقد احيت لياليك ... بتغريـد وترنيـم
فعـذرا فرحـة النفس اذا قصـر تكريمى

* * *

اذا غنيت فـي الحب ففنى بأسـم من أهوى
وان لج بك الشـوق فبثيـه مـع النجوى
فما شـكواك لليـل أيصغى الليـل للشكوى
لأنت سـلوة النفس وما احلى من السـلوى

* * *

أعيدى السجع والصدح وغنينـا الى الفجـر
فهـذى الانجم الزهـر مطلات مـع البـدر

فغنى اروع الشعر وصوغيه من السحر
فمن نحرك للثغر ومن ثغرك للنحر

* * *

أهذا منطق الطير فمن علمك الفنا ؟
وهذا اللحن للبلبل من لقنك اللحنا ؟
فيا صناجة الحى ويا قيثارة المغنى
تعالى رجعى الصوت فما البلبل ان غنى

* * *

اطلى بنت فرعون على المسرح والملعب
ورفقاً ربة الصون بأحشائي ان تنهب
فأنت الكاعب الرود فما الظبى وما الربرب
خذى روحى الى مصر فمصر وطني الاقرب

* * *

رأيت البلبل الشادي على البانة في الوادى
لقد غرد في الروض وقد غردت في النادى
اذا ملت على الناس ... بمياس ومياد
فرحماك بأحشاء ورحماك بأكباد

* * *

سلام شمعة الليل سلام أنت مصباحى
لقد هيجت اشجاني كما هيجت افراحى ،
فيا مطربة الروح ... دعينى لست بالصاحى
أمن يسكر بالحب كمن يسكر بالراح ؟

* * *

عجبنا أم كلثوم من الحادثة الكبرى

لماذا قسم الوفد ومن ذا بيت الامرا ؟ ؟
ألامن يجمع الشمل ؟ ألامن يطرد الشرا ؟
خذي حذرك يا مصر وردي الكيد والمكرا

* * *

رأيت الخصم جذلانا بما جد من الخلف
أحقا فصل الوفد (نجيبا)(1) وهو في الصف
فهذا الحادث البكر أرانا موضع الضعف
الى الوحدة يا مصر الى الاشفاق والعطف

* * *

سلى قلبى عن الحب فقد ذاب من الوجد
وكم لاب على الروض وكم حام على الورد
سليني شاحب اللون فمن سهد الى سهد
خذي قلبي للوفد فأني في الهوى وفدى

* * *

وبعد ان اثبت الدكتور زكي مبارك بعض هذه المقاطع في مقاله هذا قال :

« نظمت هذه القصيدة في مثل هذه الايام من سنة ١٩٣٢ **فهل** كانت آخر زفرة من زفرات الاستاذ الشبيبي في التشوق الى أم كلثوم والى الوفد المصري ؟ ؟

اليكم الخبر الطريف ...

في بواكير الربيع من سنة **١٩٣٨** اجتمع نادي القلم العراقي ، بمنزل سعادة الدكتور الجمالي ، وكانت الجلسة برئاسة معالي الاستاذ محمد

---

(1) هو نجيب الغرابلي باشا

رضا الشبيبي . وكانت الكلمة يومئذ للاستاذ عبدالمسيح وزير ، فما الذي قال ؟

أخذ يقرأ قصة من قصصه ـ فاشتركت مع الاستاذ عباس العزاوي في السخرية من خياله الجميل !

وعند نهاية القصة ، طلبت الكلمة لاحاسب (القارىء) ولكن معالي الاستاذ محمد رضا الشبيبي خشي عاقبة الهجوم على الاستاذ عبدالمسيح ، فاقترح ترك التعقيب ثم قال ... ان عنده موعدا وانصرف ! !

واستؤنفت الجلسة برئاسة الدكتور الجمالي فقلت ... ان معالي الرئيس اغلق باب التعقيب لانه مشغول وهو قد انصرف فانا أطلب الكلمة من جديد . ثم قلت : ان الغرض هو القاء محاضرة لا قراءة ، قصة ، فكيف جاز للاستاذ عبدالمسيح وزير ، ان يحبسنا ساعة لنشهد طريقته في التلاوة ؟ ؟ فقال الدكتور متي عقراوي ، الأصل ان يلقي العضو محاضرة ، ولكن ما الذي يمنع ان يقرأ العضو شيئا من آثاره الادبية ؟

ان الادب هو الاصل والتعليق عليه ، هو الفرع . والقصة كالقصيدة لون من الوان الادب الصرف !

وقال الدكتور الجمالي : فليكن هذا تقليدا جديداً من تقاليد نادي القلم العراقي ، ومن حق الشعراء من أعضاء النادي ان ينشدوا بعض قصائدهم في الجلسة المقبلة . وستكون فرصة نسمع فيها صوت الدكتور زكي مبارك ، فقد سمعت انه شاعر وله ديوان ! !

فقال الدكتور عقراوي ـ ولا يشترط ان يكون الشعر جديدا فالدكتور زكي مبارك (شاعر مقل) وعليه واجبات في دار المعلمين العالية ، قد تعوقه عن نظم قصيد جديد !

وبهذه المحاورة ، نجا الاستاذ عبدالمسيح وزير من لساني وما كاد ينجو مع انه (أبو ايناس) .

ثم يستمر الدكتور زكي مبارك في مقاله ويقول :

انا شاعر مقل ؟ هـذا صحيح ولكن كيف القي نادي القلم العراقي بقصيد نظمته منـذ سنين ؟ وكيف أضيع الفرصة فلا اقرع أسماع بغـداد بقصيد جديد ؟ ومضيت وانا احاور شيطاني فنظمت قصيـدا في احد عشـر ومئة بيت عنـوانه (من جحيم الظلم في القـاهرة الى سـعير الوجد في بغداد[1]) • وانشدته في الاسبوع التالي في الرستمية !

فقال معالي الاستاذ محمد رضا الشبيبي •• كيف استجزت يادكتور قتل هذه الشاعرية ؟ فقلت : قتلها التأليف وهو يشغل الفكر عن الغناء !

وصـاح الاستاذ رفائيـل بطي : أين الشـاعر الذي يجيب الدكتور زكي مبارك ؟

فقال الدكتور الجمالي : سيجيب الاستاذ باقر الشبيبي حين نجتمع في منزله بالزوية[2]) في الاسـبوع المقبـل ان شاءت الشياطين ! واجتمعنا بالزوية في مساء مقتول النسـيم ودجلة تصغي الينـا في تودد وترفق ، والاخوان ينتظرون قصيدة السيد باقر الشبيبي •• فهتف البلبل :

وفاء بعهـدى أو نزولا على وعدى وقفت احيي معشـرى وبني ودى
وقفت احيي عصـبة عربيـة بها نستبين الرشـد حقا ونستهدى
فاهلا بكم في روضة الحب والصفا واهلا بكم عنـد المسـرة أو عندى
وهيمنى في (الرستمية) شـاعر به مثل ما بي من حنين ومن سـهد
به من هوى ليلى رسيس من الهوى وبي لهب لا ينطفي من هوى هند

وما كاد يصل الى هذا الحد حتى حدثني القلب بانه سيتحدث عن

---

(١) مطلع هذه القصيدة :
وفدت على بغداد والقلب موجع فهل فرجت كربي وهل ابرات دائي
(٢) محلة يقع فيها دار الاسـتاذ محمد باقر الشبيبي في الـكرادة الشرقية احدى ضواحي بغداد •

أم كلثوم والوفد لان القافية دالية ، فقلت : اراهن انك ستعلن انضمامك الى الوفد !

فضحك ضحكة كادت تزلزله من مكانه ثم مضى يقول :

امانا لها من داء وجدي فانني اخاف عليها ان داء الهوى يعدي
وذكرني عهد الصبا في نشيده سلام على عهد الصبا في ربى نجد
هواه على اجراف دجلة وافد واما هوى قلبي فللنيل والوفد

فصاح الاعضاء ، صحت فراسة الدكتور زكي مبارك في الوفد ، فهل تصح في أم كلثوم ؟ فمضى الشاعر ينشد :

فلا تحسبوه شارد اللب وحده ولاتحسبوني سادرافي الهوى وحدي
شهيدان هذا للترائب عينه وآخر مطلول الوريد على الزند
قتيلان اما من لقاء مفاجيء اتيح واما من لقاء على وعد
فاما قتيل من جنى الشهد يشتكي واما صريع يشتكي من جنى الورد
صريع الغواني لا تلمني فانني صريع اغاني أم كلثوم لا دعد
سلام على تلك الاغاريد انها اغاريد من وحي الصبابه والوجد

* * *

اما بعد فهذا حديث (ابي كلثوم الوفدي) اعزه الحب ورضيت عنه العروبة المصرية العراقية • فان كنت فضحت هواه فلا يلمني ، فانني في الهوى وفدي وربما صرحت اني شيوعي في الحب ! ! فلي صبابات تغرب ، فتصل الى باريس ولواحق باريس ! وتشرق فتصل الى بغداد ولواحق بغداد من حواضر العراق ! •••

وهل تركتني دمشق وبيروت بلا عقابيل ! ؟

ان حالي لعجيب ما يرى اعجب منه
كل أرض لي فيها غائب اسأل عنه

وبعد فهذا هو أبو كلثوم الوفدي ، الشيخ محمد باقر الشبيبي ، وهذا ما كتبه عنه صديقه المرحوم الدكتور زكي مبارك وكنا قبل هذا نشرنا له في بحث (الشبيبي العربي الاصيل) بعض النماذج الشعرية التي اشاد فيها بذكر الوفد المصري ، ذلك الحزب السياسي الذي كان له في قلوب المخلصين من ابناء العروبة كل تقدير واخلاص وولاء ! ؟

الشبيبي وقصيدة جرس الحرس !!

... في الوقت الذي كان فيه الاستاذ الشيخ محمد باقر الشبيبي مجنداً نفسه وقلمه لمعارضة السياسة التي سلكتها حكومة السيد نوري السعيد لا سيما بعد توقيعها معاهدة ١٩٣٠ الجائرة ، وفي ذلك الوقت الذي كانت مقالاته السياسية التي ينشرها على صفحات جريدة الاخاء الوطني وغيرها من صحف المعارضة ، تحدث دويا هائلا في اوساط الشعب وتقلق الحكومة القائمة أو تكاد تعصف بها في ذلك الوقت تنشر جريدة الاخاء الوطني وبعددها الصادر يوم ١١-٩-١٩٣١ قصيدة بعنوان (جرس الحرس) مذيلة بتوقيع (حسين) . ولما كان الناس متلهفين لقراءة جميع ما تكتبه صحف المعارضة من نثر وشعر ، وكانوا في نفس الوقت قد أصبحوا يعرفون أسلوب الشيخ محمد باقر الشبيبي في الكتابة ونفسه في الشعر لكثرة ما كانوا يقرأون له في تلك الفترة ، لكل هذه العوامل ، ظن كثير منهم بان القصيدة التي نشرتها جريدة الاخاء الوطني ، انما هي قصيدته ، وان كانت مذيلة بتوقيع (حسين) ، لانه كان قد عودهم على النشر بتواقيع مستعارة متعددة ! ! حتى ان الحكومة نفسها ظنت نفس هذا الظن ولذلك سارعت باقامة (الدعوى) على المدير المسؤول للجريدة بسبب نشر هذه القصيدة ، علها تستطيع التنكيل بهذا المعارض الصعب الذي راح يصول ويجول لمحاربتها في مختلف الميادين !

فقد ادعت بان قصيدة (جرس الحرس) تتضمن اثارة شعور الكراهية ضد الحكومة . وطلبت اجراء المرافعة مع الاستاذ كامل الجادرجي المدير المسؤول للجريدة وفق المادة (٨٩) من قانون العقوبات البغدادي .

وقد ظل هذا الظن مسيطرا على اذهان الكثيرين حتى ان الاستاذ علي الخاقاني وهو الاديب البحاثة المعروف قد سجل هذه القصيدة في الجزء الاول من كتابه (شعراء الغري) حين ترجم حياة هذا الشاعر الكبير عام ١٩٥٤ .

ولما كنا في اثناء بحثنا عن حقيقة تواقيع الشيخ محمد باقر الشبيبي ، لم نجد له توقيعا باسم (حسين) ، فقد كفانا الايضاح الذي نشره اخوه الاستاذ محمد حسين الشبيبي في جريدة المواطن البغدادية في عددها يوم ٢-٢-١٩٦٢ اذ أوضح فيه عائدية هذه القصيدة وكونها له وليست لاخيه محمد باقر ، وعلى هذا الاساس لابد لنا ونحن نؤرخ حياة هذا الاديب الكبير والشاعر الثائر ، من تصحيح ذلك الوهم كيلا نغمط الناس حقوقهم ونظرا لما احدثه نشر هذه القصيدة في حينه من صدى بعيد في الاوساط الوطنية وما نتج عنها من مضايقات وملاحقات ، فقد آثرنا اثباتها في كتابنا هذا اعماما للفائدة ... والى القارى نصها الكامل ...

جرس الحرس !!

رن باذن الصبح صوت الجرس　　　وانتفض الناس ونام الحرس
ترنا فاين النور أين القبس ؟
قالوا تبسم للوا فاللوا　　　رفرف خفاقا بافق البلاد
فقلت والقصد علي التوى　　　أهذه الغاية هذا المراد

قالوا هو الرمز وفيه انطوى   من ذكريات المجد سر البلاد
فقلت ما الراية أم القوى   بل خلق القوم وروح الجهاد

* * *

في ذمة المجد ضحايا الفرات   وفي سبيل الحق تلك الدما
بغداد يا قبلة كل الجهات   كيف استباحوك وأنت الحمى
أبعد هارون وبعد الكفاة   تلوح في افقك هذى الدمى ؟
سبحان من غير مجرى الحياة   في هذه الارض وتلك السما !!

* * *

غطت على حق البلاد الصريح   سياسة الكيد وغمط الحقوق
قالوا لنا الحلف فقلنا صحيح   مع المساواة ونبذ الفروق
لكنه صيغ بشكل قبيح   يا أيها الصائغ هذا عقوق
فالويل من وضع هزيل طليح   ولعنة الدهر لاهل المروق !!

* * *

لله تلك الثورة الدامية   نتيجة الجهد وتلك الهمم
بوركت يا نياتنا الصافية   بريئة من كل عيب وذم
كانت ولكن كانت القاضية   فساءت الاحوال عم الندم
في ذمة التاريخ والعافية   انهارنا تجرى دموعا ودم

* * *

تساهلت بالحق اوطاننا   فاقتسمتها عاتيات الدول
وقد جنت ذلك افكارنا   فكان ما كان وضاع الامل
لا نحن يا قوم ولا جارنا   نلوذ بالحق ونطوى الحيل
لم نستقل ان لم تكن نارنا   مضرمة أي الشعوب أستقل ؟

* * *

في الدهر ما زال يرن الصدى   اشرف خلق الله قومي العرب

فهكذا كنــا وكل غــدا ... وا اسـفاه تاركا ما وجب
فمذ اضاع الشرق هذا الهدى ... وامتلك الغرب كنوز الذهب
حينئذ قهقه منـا الغـدى ... واستضعفوا اخلاقنا والادب

* * *

النجح بالرأي وسمر القنـا ... والنصر بالسيف وقول الخطيب
فالسيف والمنبر عون لنـا ... في المحن السودوكشف الخطوب
والمجمع الحربي فيـه المنى ... كالمجمع العلمي عند الشعوب
فكم اديب خاض سوح القنا ... وكم شجاع في نوادى الاديب

* * *

أنظر اليهـا أمـة خائرة ... بمـا أصيبت من بليغ الجراح
كم قيل عنهـا انها سـاهرة ... لكن لاجل الغانيات الملاح
حارت وحق ان ترى حائرة ... لا تعرف المفسد عن ذى الصلاح
يا حسـرتاه أصبحت عاثرة ... لامال ، لا علم لها ، لا سـلاح

* * *

ان خمدت حرب فذى الثانيـة ... يوقدهــا الآثم والمذنب
سوف تراها في الدنى حامية ... يصلى بها المشرق والمغرب
فالامة السـاهرة الواعيـة ... تلعب بالنـار ولا تغلب
اياكم والنعمـة الباليـة ... والفرصة الفرصة لا تذهب

* * *

امـا رأيتم حالة العـامل ... يشـكو من العيشة ما يقتـل
كم نكبـة ، كم قـدر نازل ... كم محنـة تنصب كم يحمـل
كم فتنـة عميـاء في الداخل ... تفعل بالمجموع ما تفعـل
ما بالنا في شـغل شاغل ... عن حالة الناس اما يخجل ؟؟

* * *

يا قائد الشعب اعد شمله واحرص على السرعة في نهضته
. . . .
. . . .
أنى لهـذا الشعب انى له يهب لليقظـة من رقدتـه

* * *

يا نشىء يا من منهم نستفيد بلادكم تشكو لكم حالها
تداركوا المجـد بذكر مجيد وساجلوا في الحرب ابطالها

* * *

لا تيأسوا يا نشىء لا تيأسوا فاليأس هدام الاماني العذاب
وسايسوهم مثلمـا سايسوا واطرحوا اللوم وخلوا العتاب
وطهروا بالسيف ما دنسوا ففي شبات السيف فصل الخطاب
فالمـال والاعلاق والانفس رخيصة تبذل عند الصعاب

* * *

هذا هو النص الكامل لقصيدة (جرس الحرس) التي كانت قد نسبت خطأ الى الشيخ محمد باقر الشبيبي ، بينما هي لاخيه الاستاذ محمد حسين الشبيبي الذي تستر بتوقيع (حسين) . وما دمنا ونحن نسجل واقع العراق السياسي والادبي في تلك المرحلة العصيبة من حياته ، ونعرض نماذج مختلفة من صور ذلك الواقع ، فقد وجدنا من المفيد ان نلخص للقاري الكريم ما دار في محكمة جزاء بغداد في تلك السنة حين محاكمة الاستاذ (كامل الجادرجي) المدير المسؤول لجريدة الاخاء الوطني بسبب نشر هذه القصيدة في عددها الصادر يوم ١٩-٩-١٩٣١ ونقول :

... بدأت محاكمته بجلسة المحكمة الاولى يوم ٢٢-١٠-١٩٣١ ثم عقدت جلسة ثانية وتبعتها جلسة الثالثة ، وقد دار خلال تلك الجلسات الثلاث مناقشات قانونية وادبية واتهامات وردود حاسمة شارك فيها (المدعي

العام) والحاكم وكامل الجادرجي ، والمحامي سلمان الشيخ داود وكيل المدعي عليه ! وفي يوم ٢٦-١٠-١٩٣١ ، عقدت محكمة جزاء بغداد جلستها الرابعة برئاسة الاستاذ شهاب الدين الكيلاني ، وفي اثناء هذه الجلسة ، افاد الحاكم :

انه لما كانت القضية موضوع الدعوى ، قصيدة من (الشعر والبيان) فنحتاج الى الاخذ برأي خبير في الشعر ، لذلك أرجو من المدعي العام والمدير المسؤول ان يتفقا على خبير لاخذ رأيه في ما جاء بهذه القصيدة .

فذكر (كامل بك الجادرجي) اسم الأستاذ جميل صدقي الزهاوي والشيخ محمد رضا الشبيبي ، فاعترض المدعي العام على ان يكون الخبير من المنتمين الى الاحزاب السياسية ورغب في تعين الاستاذ معروف الرصافي . فاعترض المدير المسؤول على الرصافي بصدد كونه من (حزب العهد) ! فبين المدعي العام بان الرصافي لا ينتمي لأي حزب وهو من المحايدين !

فاجاب الاستاذ كامل الجادرجي قائلا ... اذا كان الرصافي غير منتم الى حزب ، فهو بلا شك مؤيد للوزارة الحاضرة ، وقد بلغني ان الحكومة اسلفته مبلغا من المال لطبع ديوانه ! واني اعد هذه منفعة تمنع الشهادة !

وأخيرا انفق الطرفان على ان يكون الخبير هو الاستاذ جميل صدقي الزهاوي .

الزهاوي يبدي رأيه !!

وفي يوم ٧-١١-١٩٣١ ، عقدت الجلسة التي حضرها الاستاذ الزهاوي . وفي بداية الجلسة سأله الحاكم ...

- هل طالعتم قصيدة جرس الحرس ؟ قال :

- طالعتها اخيرا ! قال الحاكم .

ـ أريد ان اسألكم عنها بضعة أسئلة ، فقد طلب المدعي العام مجازاة كامل بك الجادرجي المدير المسؤول لجريدة الاخاء الوطني لنشره قصيدة تتضمن الطعن والذم في الحكومة الحاضرة ، فهل وجدتم فيها طعنا وذما ؟ !

الزهاوي ـ لم أجد فيها ذلك !

الحاكم ـ هل تقدرون ان تبينوا لي مطالعتكم الشخصية في هذه القصيدة وما تضمنته من المعاني ؟

الزهاوي ـ ابدأ أولا بالقاء كلمة عن الشعر لغة الروح ، كما ان النثر لغة العقل ! وطريقته في الافهام غير طريقته ، وأسلوبه غير أسلوبه ! وهو أكبر مرب في النشيء للاخلاق الفاضلة والخصال الحميدة كالشجاعة والمروءة وعزة النفس !

والشاعر لن يستطيع ان يؤدي وظيفته الاصلاحية الا اذا كان حرا طليقا في ضمن حدوده ! والنشيء الذي لا تغرس فيه منذ نعومة اظفاره الخصال المطلوبة يشب وليس فيه من الشجاعة ما ينهض به للدفاع عندما يكون الوطن العزيز محتاجا اليه ! وفقدان هذه الخصال من الكوارث التي تثبط العزائم في الامم التي تريد لتحيا مستقلة !

فالشعر للسجايا كالعلم للعقول .. والشعر هو الصرخة التي تنبه الراقدين لينهضوا فلا نهضة بدون الشعر !

ولما كان الشعر مقيداً بالوزن والقافية ، كان مجاله ضيقا ! لذلك يكتفى في الغالب بالاشارة وهي ابلغ من التصريح ! والشعراء لا يوآخذون على ابداء عواطفهم وخيالاتهم ! ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ؟ !

وأي خوف ممن يهيمون في أودية الخيال ولا فعل من وراء خيالاتهم ؟ !

وقصيدة (جرس الحرس) التي نحن بصددها ١٣ دوراً ، اعترض المدعي العام على (٤) ادوار منها ، كسبب للاجرام !

الدور الثاني الذي يقول فيه :

في ذمة المجد ضحايا الفرات وفي سبيل الحق تلك الدما

الى ان يقول :

أبعد هارون وبعد الكفاة تلوح في افقك هذي الدمى !

لقد تكلم الشاعر في هذا البيت عن الثورة التي حدثت في عهد الاحتلال الانكليزي للعراق ، فسماهم (ضحايا الفرات) حيث قد مات كثيرون ، وقد بين انهم وان كانوا لم ينجحوا في الثورة فقد دافعوا عن مجد بلادهم وهو يخاطب بغداد بنعتها بقبلة كل الجهات !

ويتساءل كيف احتلوك بقوله كيف استباحوك اذ الاستباحة هي الاحتلال ! !

يعني ، بعد ذلك الرجل العظيم هارون وبعد الوزراء الكفاة لقد كانت الامة متينة الاركان اخلاقها راقية ، صارت تلوح في افقك هذه الدمى ! وهو يريد ان هؤلاء اقل بالنسبة الى من كان في عهد الرشيد . فقد كانت العاصمة العراقية ، بغداد ذات نهضة صحيحة تحوى من النفوس نحو مليونين !

ولم يوجد في عاصمتنا بعد هرون الرشيد اناس يضاهون اولئك الناس !

والدور الثالث قال فيه :

غطت على حق البلاد الصريح سياسة الكيد وغمط الحقوق

يقصد ان حق البلاد هو (الاستقلال) ولم تحصل عليه ، بل غطت على حق البلاد (سياسة الكيد) . هذه من الاقوال العامة التي يلجأ اليها المرء ولا سيما الشاعر اذا تبرم بشيء !

قالوا انا الحلف فقلنا صحيح !

قالوا لنا الحلف ، فقلنا شيء جديد : التحالف بين جلالة المغفور له الملك حسين والحكومة البريطانية . وانما لكي يكون الحلف صحيحا ، يجب ان يقوم على قدم المساواة ، اما الحال الحاضرة فهناك فرق كبير ، اذ ليس لنا كلمة كالتي لهم . والمحالفة تتم اذا وقعت بين المتكافئين . يفهم من هذا ، ان المساواة مفقودة . وقد قدمنا في المقدمة ان الشاعر ضيق المجال وقد يلجأ الى الاشارة !

الدور الثاني عشر ، قال فيه :

يا نشيء يا من منهم نستفيد　　بلادكم تشكو لكم حالها
تداركوا المجد بذكر مجيد　　وساجلوا في الحرب ابطالها

ليس المقصود من هذه الحرب ، ثورة جديدة ، اذ الشاعر يحمل على الثورة الجديدة في احد ادواره ، ويقول باننا لم نستفد بل يقصد حرباً عامة اخرى !

وهذا مبني على ما علقته الصحف على الكتاب الذي ألفه الجنرال لردندروف القائد الالماني ، فقد تنبأ فيه باشتعال نيران حرب كبرى جديدة سنة ١٩٣٢ فيقول الشاعر اذا وقعت هذه الحرب فتهيأوا لها ، وكونوا أقوياء مدربين تدافعون عن بلادكم . وقد جاء في القصيدة :

ان خمدت حرب فذي الثانية !

يشير الى الحرب العامة الجديدة التي تنبأها لودندروف وقال فيها « يوقدها الآثم والمذنب » فهو اذن لا يحبذها وقال :

سوف تراها في الدنى حامية　　يصلى بها المشرق والمغرب

فلو كان يقصد ثورة في العراق ، فما صلتها بالمشرق والمغرب . ومن قوله فيها :

لا تيأسوا يا نشيء لا تيأسوا　　فاليأس هدام الاماني العذاب
وسايسوهم مثلما سايسوا　　واطرحوا اللوم وخلوا العتاب

يريد ان لا تلوموهم ولا تعاتبوهم • ومن يريد ثورة في العراق لا يقول اتركوا اللوم واتركوا العتاب !

هذا ما بان لي من القصيدة !!

المدعي العام ـ وصف الاستاذ الزهاوي في أول كلامه الشاعر بانه خيالي ، ثم لما أخذ يشرح القصيدة اظهره كالمجنون لانه يذكر ثورة الفرات ثم ينثني الى التاريخ ويذهب الى الحرب العامة الجديدة !

الزهاوي ـ انا بينت في المقدمة ، ان الشعراء في كل واد يهيمون ، وهذا دليل يؤيدني بان أكثرية القصيدة خيالي ، حيث ان الشاعر يتخطى ويطفر اودية مختلفة من هنا وهناك !

الحكم برد الدعوى !!

الحاكم ـ لقد ادعى المدعي العام ان قصيدة (جرس الحرس) تتضمن اثارة شعور الكره ضد الحكومة وطلب اجراء المرافعة مع كامل بك الجادرجي المدير المسؤول لجريدة الاخاء الوطني التي نشرتها ، وفق المادة (٨٩) من قانون العقوبات البغدادي •

وبعد ان نظرت المحكمة في هذا الطلب واستمعنا الى أقوال المدعى العام ، وبيانات كامل بك الجادرجي ودفاع محاميه السيد سلمان الشيخ داود ، وكذلك استمعت المحكمة الى شهادة حضرة الاستاذ الزهاوي ، فتبين لها بنتيجة هذا التدقيق ، ان القصيدة لم ينشرها المدير المسؤول ولا اذاعها ناظمها بقصد اثارة الكره والبغضاء ضد الحكومة • ولما كانت المحكمة تعتقد ذلك فقد ردت الدعوى وقررت الافراج عن المشتكى عليه[1] !

وهكذا ظل اسم ناظمها الحقيقي سرا من الاسرار لا يعرفه الا قلة

---

(١) جريدة الاخبار العدد الصادر يوم ٨ـ١١ـ١٩٣١

من الناس فلا عجب ان شاعت نسبتها الى ذلك الشاعر الثائر والكاتب السياسي المعروف الاستاذ الشيخ محمد باقر الشبيبي .

ومهما يكن من شيء فأن الكشف عن عائدية هذه القصيدة وكونها من قصائد أخيه الاستاذ محمد حسين الشبيبي يمكن اعتباره دليلا آخر من دلائل تصدى آل الشبيبي الكرام كبارهم وصغارهم لمقارعة السياسة الغاشمة ومحاربة المستعمرين واذنابهم والضالعين في ركابهم في مختلف ادوار العراق السياسية .

الشبيبي في لبنان

لقد ظهر لنا من تتبع مجرى حياة المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي بأنه كان قد قصد لبنان مصطافا خلال تلك الحياة الحافلة بالحركة والنشاط مرتين فقط المرة الاولى في صيف عام ١٩٣٠ والمرة الثانية في صيف عام ١٩٤٤ والفرق بين حالته في السفرة الاولى وحالته في الثانية فرق كبير جدا فقد نزل لبنان فى ١٩٣٠ وهو في أوج نشاطه السياسى وعنفوان فعاليته الوطنية والقومية وكانت حالته الصحية آنذاك تساعده على الحركة والتنقل بين سوريا ولبنان وما فيهما من مرابع ومصايف جميلة ...

اما سفرته الثانية فقد كانت في صيف ١٩٤٤ وكانت في هذا الوقت قد ظهرت بوادر اصابته بمرض (الربو) أو ما يسمى بـ (ضيق النفس) ولذلك قصد لبنان طلبا للراحة والاستجمام يصحبه ابنه الوحيد (صادق) وقد أتخذ من مصيف (ضهور الشوير) محلا لأقامته في ذلك الجبل الجميل وتشاء الصدف ان تقام في أوتيل (مدور) الواقع على احدى

روابي ذلك المصيف حفلة تكريمية كبرى على شرف رئيس وزراء لبنان آنذاك المرحوم رياض الصلح فيطلب اليه بعض الاصدقاء اللبنانيين وهو الشاعر المعروف ان يسهم في هذه الحفلة بالقاء قصيدة بهذه المناسبة ونزولا عند رغبة هؤلاء الاخوان حضر تلك الحفلة الكبرى وانشد قصيدة عامرة[1] في (تحية لبنان) قال فيها :

من العراق وأهليه تحيات ... رسالة عبرت عنها المسافات
هذي أخوة بغداد تناشدكم ... ان لا تضيع بلبنان الاخوات
عواطف زخرت بالحب فاندفعت ... تفيض ما بين شعبينا الموالاة
يا جنة الله لا (عدن) تماثلها ... ولا تماثلها في الخلد جنات
أقسمت اني مسرور بأودية ... واجبل نبتت فيها المسرات
آآية أنت يا (صنين) منزلة ... أم كل ما فيك يا لبنان آيات ؟
الدهر عندك أيام محببة ... والعمر عندك يا لبنان ساعات
كواكب هي هذي في مناكبها ... مبثوثة أم مقاصير وابيات ؟

ثم يقول مخاطبا لبنان :

يا موحي الشعر انفاسا موقعة ... هذي العواطف من معناك موحاة
وشائج بين ماضينا وحاضرنا ... ومن وشائجنا هذي السلالات
دلت على النسب الوضاح أمثلة ... من الدماء وآباء وأمات
أي السمائين مرآة تمثلها ... أأنت أم مطلع الاقمار مرآة ؟
عجبت كيف يعيش الظلم في أفق ... تحدرت من اعاليه النبوات ؟ ؟

ثم يتلفت الشاعر الى بيروت ويحذرها من الدعايات المغرضة التي تفرق كلمة الشعب ويدعوها الى اسناد الحكم الشعبي ويقول :

بيروت حسبك هذا الحكم تجربة ... فلا تغرن اهليك الدعايات

---

(١) كان الشيخ حين القائه هذه القصيدة يعتمر الكوفية والعقال العربي ..

لا يصبح الحكم شـعبيا ومؤتمنا حتى ترد الى الشـعب الحكومات
رأيتهن دويـلات ممزقـة استقل غـدا هذى الدويلات ؟ ؟
تآمروا فأستباحتنـا مكائدهـم ومن مكائدهم تلك الامـارات ...

وأخيرا ينبه لبنـان الى مخاطر الانعزال عن الوطن العربي الـكبير ويدعوه الى ضرورة الاتصال به ويقول :

كفى انعزالك يا لبنان عن وطن فيه امانيك بل فيه الامانات
قل للجهات التي املت سيادتها
دال الزمان فنحن اليوم سادات
سوح القتال بكم اولى وذا بلد
للسلم فيه ميادين وسـاحات
ضاق الفضاء وغص الجو وأمتلأت
هذى السـهول وهاتيك المساحات
انا بلوناك مغلوبا ومضـطهدا
فأرهقتك وصـاغتك البليـات
ضـاعف جهودك يا لبنان مقتحما
حواجزاً بالغت فيها السياسات ..

* * *

وهكذا أعرب هذا الشاعر العربي الكبير عن مشاعره تجاه لبنان الذي كان آنذاك يلمح عن كثب بشـائر الخلاص من غول الاسـتعمار الفرنسى وراح يكشـف وهو السـياسى الخبير عن مكائد المسـتعمرين وينبـه الى ضرورة جعل الحكم شعبيا لا مقصورا على نفر كما كان الحال في العراق.

ويمكن اعتبار هذه القصيدة آخر ما نظم الشيخ محمد باقر الشبيبي من شعر فقد عاد الى العراق بعد تلك السفرة ولم يكن يدري انها ستكون السفرة الاخيرة التي يقوم بها لزيارة بلد الخير والحب والجمال لبنان ..

الشيخ محمد باقر الشبيبي والزراعة

وقبل ان نقلب الصفحات الاخيرة من حياة هذا الشاعر الثائر لابد لنا من الاشارة الى تلك الصفحة التي يظهر لنا فيها هـذا السياسي العراقي الكبير مزارعا منهمكا في شؤون الزراعة محاطا بمشاكلها فقد أضطر بعد ان وقفت السلطة الحاكمة ضده وضد أمثاله الوطنيين الاحرار منذ عقدت معاهدة عام ١٩٣٠ أضطر الى ان يجد سبيلا شريفاً يضمن عن طريقه له ولعائلته العيش الكريم فلم يجد وسيلة تناسب روحيته وكرامته غير الزراعة واستطاع بعد لأي ان يستأجر من وزارة المالية أرضاً زراعية في ناحية (ابي غريب) القريبة من بغداد مساحتها (ألف دونم) وذلك في عام ١٩٤٠ ومنذ ذلك التاريخ أخذ يعمل بجد لاستغلال هذه الارض عساه ينال من هذا الاستغلال ما يساعده على مغالبة مشاكل الحياة التي راحت تتعقد يوما بعد يوم ..

وفي عام ١٩٤٨ فوضت له هـذه الارض بالطابو وبذلك أصبح من أصحاب الاطيان ولكن بلا فائدة لأنه كان في هذا التاريخ قد أصبح تحت رحمة المرض الذي بدت اثاره تظهر قوية وليس له في ادارة هذا العمل من مساعد أو معين ...

آخِرُ الصَّفَحَات

واذا كان لكل حي نهاية في هـــذه الدنيا الفانية فأن حياة هـــذه الشخصية الوطنية الفذة قـد انتهت بسبب اشتداد وطـأة (مرض الربو) الذي لازم الشيخ منذ عام ١٩٣٠ فقد ظهرت بوادر اصابته بهذا المرض المزعج منذ سفره الى ســوريا ولبنان في تلك السنة لـكنه لم يكن يهتم به آنذاك اذ ظل على عادته كثير التدخين لا يستطيع الاقلاع عن هذه العادة على الرغم من نصيحة الاطباء له بذلك ..

ولقد أخذت اعراض هذا المرض تبدو جلية واضحة عاما بعد عام حتى اذا كان عام ١٩٤٤ بدأت نوباتها مؤثرة موجعة وكان لابد له حينذاك من ترك التدخين نهائيا وهذا ما كان فعلا ولكن بعد فوات الاوان فقـــد راحت نوبات هذا المرض واعراضـه تعاوده بين حين وآخر بحيث تجعله غير قادر على الحركة والنشاط ثم أخذت هذه النوبات تزداد قوة وعنفا في السنوات الخمس الاخيرة من عمره اذ أضطرته على البقاء في داره ليـــل نهار لا يستطيع الخروج منه ، لقد ظل طريح فراشه طيلة تلك السنوات

الخمس وليس له من جليس غير الكتاب والمجلات والصحف وليس له من انيس غير المذياع ، وكان كثير السهر لا تغمض عيناه الا لماما ..

وقد اجريت له وهو في هذه الحال عملية جراحية لعارض الم به وهكذا أخذت منغصات الحياة تكثر في وجه هذا الرجل الطيب حتى اذا حل شهر حزيران من عام ١٩٦٠ راحت وطأة المرض تشتد عليه وتتعاظم ولم يكن قادرا آنذاك بهيكله المتداعي على تحمل تلك الوطأة وهكذا وقبيل وفاته بخمسة أيام أصبح في غيبوبة غاب فيها حسه ووعيه نقل على أثرها الى (مستشفى الراهبات) في الكرادة الشرقية ولم يلبث الا قليلا حتى انتقلت روحه الى بارئها يوم ٧ حزيران عام ١٩٦٠ .

وهكذا وبهذا اليوم انتهت آخر صفحة من صفحات حياة الشيخ محمد باقر الشبيبي وخسر العراق بل العروبة ابنا بارا وثائرا حرا تنكرت له الدكتاتورية الرابضة وهو صبي وحارب الانانية العارمة وهو يافع وكافح الطغيان الجاثم وهو كهل ...

وقد تركت وفاته موجة من الالم في نفوس ابناء الشعب الذين عرفوه شاعرا ثائرا وسياسيا جريئا ومعارضا صعباً وعربياً حراً . وقد أبنه كثير من الكتاب والادباء وبكوه بالدموع والحسرات فقد كتب الاديب الصحافي المعروف الاستاذ عبدالقادر البراك في جريدة (الاهالي) بعددها الصادر يوم ١٠-٦-١٩٦٠ مقالا بعنوان (الشيخ محمد باقر الشبيبي - الشاعر السياسي الذي خسره الشعب .. قال فيه :

وأخيرا طوى الموت حياة الاستاذ الشيخ محمد باقر الشبيبي بعد مرض طويل صرفه عن مواصلة كفاحه الوطني سواء فيما كان يرسله من قصائده الوطنية الجياشة بالعواطف والاحاسيس الملتهبة أو فيما يكتبه من مقالات نابضة بالحياة في نقد الاوضاع العامة التي كانت تسود البلاد في ظل الحكم الاستعماري البغيض وما اعقبه من الحكم المحلي الشاذ ...

وفيما كان يساهم فيه من نشاط سياسي سواء بأشتراكه في تأسيس بعض الاحزاب كحزب الاخاء الوطني وحزب الجبهة الشعبية أو معارضة المعاهدات والمشاريع الاستعمارية في المجلس النيابي » .

« وقد تركت وفاة الشيخ باقر الشبيبي موجة من الالم في نفوس الكثير من مقدري أدبه وفضله ومساعيه في خدمة الشعب والوطن واعادت الى الاذهان صوراً من كفاحه خلال الثورة العراقية التي أصدر جريدة (الفرات) تنطق بلسانها وتعبر عن اهدافها وتنقل الى الشعب اولا بأول ما حققته من انتصارات في المعارك التي خاضها هذا الشعب ضد المستعمرين

كما اعادت الى الاذهان مواقفه في الاحتفالات الوطنية وفي المجلس النيابي وما كان يتناقله الجمهور من روائع ابياته في مقارعة المستعمرين واعوانهم وفي تصوير ما كان يعانيه الشعب من الآلام وما يتطلع اليه من الاهداف والامال الوطنية » ...

وختم مقاله قائلا :

« والخلاصة فأن الشيخ باقر الشبيبي من شعراء العراق الافذاذ في العصر الحديث وان الخسارة الكبيرة بفقده لن تعوض بغير نشر ما خلف من اثار وخاصة ديوان شعره الذي يصور فترة هامة من تاريخ كفاح الشعب العراقي في سبيل الحرية والاستقلال والوطنية » .

وكتبت جريدة الحضارة(١) معلقة على هذه الخسارة الفادحة بعددها الصادر يوم ١٨-٦-١٩٦٠ تقول : « كانت معاني الحياة تتفتح في فمه كالزهرة المعطرة تحمل شذى النور والحب والجمال ..

وكان هو مثالا حيا للانسانية الفاضلة الصاعدة وكانت شاعريته تهز النفوس هزا فتدفعها للعمل والكفاح والنضال .

وكان هو في استقامته وفي شعره وسيرته سوطا من سياط العذاب في

---

(١) لصاحبها الاستاذ محمد حسن الصوري .

وجه الاستعمار المجرم وكانت ذكرياته الخالدة ثابتة في النفوس الطيبة والارواح الشريفة ممن عرفوه وخالطوه » .

ثم قالت :

لم يكن الشيخ محمد باقر الشبيبي وجها كسائر الوجوه التي تظهر ثم تختفي ولا يبقى منها سوى لمحات خفيفة تذوب بعد أيام قليلة ، وانما كان وجها من الوجوه النيرة التي يشع بها تاريخنا الحديث وساعدا من السواعد القوية التي بنت هذا التاريخ ودفعت في وريده الدم الجديد .

ومن هنا كانت الخسارة فادحة وكانت الفجيعة بموته كبيرة » .



كلمة الختام

وهكذا والى هذا الحد نقف واياك ايها القارىء الكريم بعد ان قطعنا ونحن نقلب صفحات حياة هذا الشاعر الثائر فترة من الزمن ناهزت السبعين عاما رأينا خلالها العراق متململا ضد الحكم العثماني متطلعا للحرية والاستقلال ثم رأيناه ثائرا على قوات الاحتلال البريطاني مضحيا بالنفوس والارواح في سبيل الوحدة والحرية والكرامة .

ثم رأينا من خلال مواقف هذا العراقي الغيور والعربي المتحمس كيف كانت تحاك الدسائس ضد هذه البلاد وكيف ينفذ الاستعمار اغراضه ومراميه ولكننا رأينا في نفس الوقت كيف تكون التضحية في سبيل الوطن وكيف تكون المفاداة من أجل الكرامة والحرية والاستقلال .

وكيف يكون العمل من أجل احباط تلك الدسائس وافساد تلك الخطط .

ولست أشك في ان القارىء الواعي سيجد في هذه الصفحات التي عرضنا له فيها جوانب متعددة من حياة المغفور له الشيخ محمد باقر

الشبيبي مرجعا أميناً يستند اليه ان اراد دراسة تاريخ العراق السياسى الحديث ... وسجلا تاريخيا وأدبياً واجتماعيا صادقا يسجل الاحداث والوقائع التي مرت على العراق بكل صدق وامانة واخلاص . وبعد فليس من باب المغالاة القول ان هذه الصفحات التي سجلنا فيها خلاصة موجزة من حياة هذا الشاعر الثائر ، ستكون في مقدمة كتب الادب العراقي الحديث فائدة ونفعا لطلاب العلم والادب والحقيقة ...

رحم الله الشيخ محمد باقر الشبيبي بواسع رحمته واسكنه فسيح جناته فقد كان وايم الله من الرجال المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدلوا تبديلا ...



آثار المؤلف

اولا ـ المطبوعة

١ ـ صور واحاديث اجتماعية	نفد	١٩٤٤
٢ ـ ٤٠ يوما في لندن	نفد	١٩٤٦
٣ ـ ولادة وابن زيدون	نفد	١٩٤٧
٤ ـ نظرات في اصلاح الريف (ثلاث طبعات)		١٩٥٠ـ١٩٥٤
٥ ـ معجم العراق الجزء الاول	نفد	١٩٥٣
٦ ـ معجم العراق الجزء الثاني		١٩٥٦
٧ ـ دليل العراق الحديث بالانكليزية (تاليف مشترك)		١٩٥٧
٨ ـ مشاكل الائتمان الزراعي في العراق		١٩٥٧
٩ ـ الهجرة من الريف للمدن في العراق		١٩٥٨
١٠ ـ تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني		١٩٥٩
١١ ـ الريف والاصلاح الاجتماعي في العراق		١٩٦٠
١٢ ـ تعمير القرية في العراق		١٩٦٤
١٣ ـ الزهاوي بين الثورة والسكوت		١٩٦٤

ثانيا ـ المعدة للطبع

١ ـ معجم العراق الجزء الثالث
٢ ـ تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني
٣ ـ دور المصرف الزراعي في التنمية الزراعية في العراق
٤ ـ المجتمع الريفي والاصلاح الزراعي
٥ ـ ديوان الشيخ محمد باقر الشبيبي

ملحوظة

تطلب المؤلفات المطبوعة من مكتبة النهضة او المكتبات الاخرى في بغداد او من المؤلف مباشرة حسب العنوان التالي :ـ

عبدالرزاق الهلالي

شارع عزيز احمد شهاب

رقم الدار ١١/٤٢

محلة نجيب باشا ـ الاعظمية

العـــراق

فهارس الكتاب

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١ : ـ فهرس أسماء الاشخاص

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

٢ :ـ فهرس الامكنة والبقاع

٣ : ــ فهرس الكتب والمراجع

٤ : ـ فهرس القوافي



٥ :ـ فهرس الحوادث التاريخية

٦ :ـ محتويات الكتـــاب

الصفحة	الموضوع

انتهى طبع هذا الكتاب

بتاريخ ١٥-٢-١٩٦٥